

جامعة تكريت  
كلية التربية طوز خورماتو  
قسم علوم الحياة

محاضرات أصول التربية  
مرحلة الأولى

إعداد وجمع  
م. م. رمضان محمد قادر

2025

## مقدمة :

تعد التربية من أقدم الظواهر الإنسانية وألصقها بالإنسان منذ وجوده على الأرض فهي العملية التي من خلالها انتقلت الخبرات من جيل إلى آخر، وتشكلت أنماط السلوك، وترسخت القيم، وتوطدت أساليب العيش المشترك، وإذا كان الإنسان قد ولد عاجزاً عن تلبية حاجاته بنفسه، فإن التربية مثلت الأداة التي مكنته من النمو والتكيف مع البيئه، وصارت منذ ذلك الحين ظاهرة اجتماعية ملازمة لحياة البشر.

لقد بدأت التربية في صورتها الأولى عفوية وبسيطة، حيث كان الطفل يتعلم بالمحاكاة والتقليد من الأسرة والجماعة، فيكتسب مهارات الصيد، وأساليب الدفاع عن النفس، والعادات والتقاليد، ومع نشوء الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ومصر والهند والصين والإغريق، انتقلت التربية من الطابع العفوي إلى طابع أكثر تنظيماً، إذ ظهرت المدارس والمعابد كمؤسسات للتعليم، وبرزت أهمية الكتابة والحساب والدين في المناهج، بالإضافة إلى الفلسفة والفنون في الحضارة اليونانية.

وفي العصور الوسطى اتخذت التربية منحىً دينياً واضحاً، ففي العالم الإسلامي ارتبطت التربية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فنشأت الكتاتيب والمدارس النظامية، وازدهر الفكر التربوي على يد مفكرين أمثال الغزالي، الفارابي، وابن خلدون، الذين أكدوا على الدمج بين العلم والدين، وبين النظرية والتطبيق، وبين تنمية العقل والروح. أما في أوروبا فقد غلبت سيطرة الكنيسة على المؤسسات التعليمية، فتركز التعليم على الدراسات اللاهوتية وأهملت العلوم الدنيوية.

ومع بداية عصر النهضة في أوروبا عاد الاهتمام بالإنسان باعتباره محور العملية التعليمية، فظهر فلاسفة مثل جان جاك روسو الذي دعا إلى التربية الطبيعية، وجون لوك الذي أكد على أهمية الخبرة الحسية في التعلم، وكومنيوس الذي وضع أسساً حديثة للتعليم المنهجي، ثم هربارت الذي أسهم في تطوير التربية العلمية، وفي هذه المرحلة بدأت أصول التربية تتبلور كعلم قائم بذاته، يستمد أسسه من الفلسفة، وعلم النفس، والاجتماع، والتاريخ، لتوجيه العملية التربوية بصورة واعية ومنظمة.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين شهدت التربية تطوراً كبيراً مع ظهور النظريات النفسية مثل السلوكية التي ركزت على التعلم من خلال المثير والاستجابة، ونظرية الجشطالت التي أبرزت دور الفهم الكلي، والبنائية التي أكدت على بناء المعرفة من خلال التفاعل، والنظرية

الاجتماعية التي ركزت على التعلم من خلال النمذجة والتقليد، كما ظهرت الفلسفات التربوية المعاصرة مثل التربية التقدمية التي نادى بها حركة التربية الجديدة بقيادة جون ديوي، والتربية الجوهرية والدائمة التي ركزت على المعرفة الأساسية والثقافة الكلاسيكية، إلى جانب التربية التحليلية التي اهتمت بتحليل المفاهيم واللغة التربوية.

أما في العالم العربي والإسلامي الحديث فقد تأثرت التربية بالاتجاهات العالمية، خاصة مع دخول الاستعمار الأوروبي وتأسيس النظم التعليمية الحديثة، ومع ذلك، استمرت محاولات التوفيق بين القيم الإسلامية والخصوصية الثقافية من جهة، ومكتسبات الفكر التربوي العالمي من جهة أخرى، بهدف بناء أنظمة تعليمية تحقق التنمية والحفاظ على الهوية في آن واحد.

وفي العصر الحالي لم تعد التربية مجرد وسيلة لنقل التراث الثقافي أو إعداد الفرد للحياة التقليدية، بل أصبحت أداة استراتيجية للتنمية الشاملة ولمواجهة التحديات المعاصرة مثل العولمة، وثورة المعلومات، والتغيرات السريعة في سوق العمل، واقتصاد المعرفة، والذكاء الاصطناعي، وأصبحت الأنظمة التربوية مطالبة بتخريج أفراد يمتلكون مهارات التفكير النقدي، والقدرة على التعلم الذاتي، والتكيف مع المستجدات العلمية والتكنولوجية.

## - مفهوم التربية :

للتربية مفاهيم متعددة كونها من الكلمات ذات المعاني المتعددة، وهذه المفاهيم وإن تعددت إلا أنها في النهاية كل متكامل تكمل إحداها الأخرى، وسوف نتطرق إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للتربية .

**التربية لغة:** المتبوع لمعنى التربية في اللغة يجد أن للتربية ثلاثة أصول لغوية:

1- **(ربا - يربو)** بمعنى الزيادة والنمو وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى (وما أتيتهم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله) وقوله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات).

2- **(ربا - يربي)** بمعنى نشأ وترعرع وبمعناه قال ابن الأعرابي: فمن يك سائلاً عني فأني بمكة منزلي وبها ربييت.

3- **(رب - بر)** بمعنى الإصلاح وتولي الأمر وبهذا فإن معاني التربية هي (الزيادة - والنمو - والنشوء - والترعرع - والإصلاح - والتهديب) وقد أكد الإمام البيضاوي (رحمه الله) في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) أن الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ومن هذه الأصول اللغوية نستنبط مجموعة عناصر للتربية هي :

1- المحافظة على فطرة الإنسان ورعايتها.

- 2- تنمية مواهب الإنسان واستعداداته كلها.
- 3- توجيه فطرة الإنسان ومواهبه واستعداداته نحو الإصلاح والكمال .
- 4- التدرج في عملية المحافظة والتنمية والتوجيه .

**ونستخلص من هذا نتائج أساسية في فهم التربية أهمها :**

أولاً / أن التربية عملية هادفة لها غايتها .  
ثانياً / التربية تقتضي وضع خطط متدرجة ومنظمة تتناسب مع أطوار حياة الإنسان.

**- التربية اصطلاحاً:** لا بد أن يختلف التعريف الاصطلاحي للتربية وفقاً لاختلاف المنطلقات الفلسفية التي يخضع إليها أي مجتمع، فكل مجتمع له فلسفته الخاصة التي يقوم عليها، والتي تتبع من عادات وميول وتقاليد واتجاهات وقيم ذلك المجتمع، وسنذكر بعض التعريفات الاصطلاحية الواردة في المقام من قبل كبار الفلاسفة للتربية ثم نتخذ تعريفاً خاصاً بها :

**1- عرفها عالم النفس هنري جولي:** مجموعة الجهود التي تهدف إلى أن تيسر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف الملكات والمهارات .

**2- عرفها عالم الاجتماع دركهايم:** بأنها العمل الذي تُحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال الناشئة من أجل الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى تأسيس وتنمية عدد من العادات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي يطالب بها المجتمع السياسي والوسط الاجتماعي الذي يعدله .

**3- وأما في التصور الإسلامي فهي:** مجموعة من القيم والمفاهيم التي تترابط فيما بينها ضمن إطار فكري يستند إلى التصورات المطروحة في الكتاب والسنة حول الكون والإنسان.

من كل ما جاء أنفاً يمكن أن نخلص تعريفاً للتربية على أنها (عملية تشكيل وإعداد أفراد إنسانيين في مجتمع معين لان التربية تعد الوسيلة الأساسية التي بها ينتقل الفرد من مجرد فرد بيولوجي إلى إنسان يشعر بالانتماء والولاء لمجتمع له قيم وعادات واتجاهات وأمال وألام، فمن خلالها تتم عملية توجيه طاقات الفرد ونموه بمختلف الوسائل والطرائق المحددة الأهداف والمخططة الإجراءات، والتي تتم في الأسرة والمدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى).

**- ضرورة التربية :**

التربية عملية ضرورية للإنسان كما هي ضرورية للجماعة ولكل الكائنات الحية فكل الكائنات الحية تسعى إلى تخليد جنسها وذلك بالتناسل ومن ثم الاحتفاظ بالنسل وحمايته أما الإنسان فتربيته تتم عن طريق تدريب الصغار على طرق المعيشة أو العيش المناسب لكي يتمكنوا من الحفاظ على أنفسهم ولكن ليس من السهولة بمكان المحافظة على هدف الحياة بدون توجيه ونصح ممن هم أكثر خبرة وأكبر سناً فالطفل كما يرى بعض علماء النفس يولد وهو مزود بالقدرة على سلوك خاص أو على نوع من السلوك ثم تأتي حاجته للتكيف مع المجتمع وهنا يحتاج لمن يأخذ بيده ويرشده لمعرفة حاجات ذلك المجتمع ليستطيع العيش فيه وهنا تأتي ضرورة التكيف مع البيئة من حوله ( البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية معا لأن لهما أكبر

الأثر على حياة الفرد ولا يمكن الفرار منهما أو التهرب من مطالبتهما وبما أن لكل مجتمع متطلباته الخاصة فيجب على الأفراد بالتالي أن يخضعوا لتلك المتطلبات إذا ما أرادوا العيش في ذلك المجتمع وقد عرفنا أن التربية عملية مستمرة دائمة بل عملية نمو دائم للإنسان فهي بالتالي عملية تحتاج إلي وقت طويل لأن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتمتع بمراحل نمو طويلة وبطيئة في نفس الوقت وبما أن عملية التربية تستمر فترة طويلة فهي بالتالي تتأثر كثيرا بالخبرات الفردية وكلما ارتقى الإنسان وكلما تقدمت وسائل الحضارة لديها كلما احتاج للتربية وذلك لاحتياجه لعملية التكيف مع البيئة الجديدة لهذا فحاجتنا للتربية تزداد يوما بعد يوم والتربية عملية واعية وليست عشوائية فهي عملية هادفة لها أهداف ونظم وقواعد ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات على أن ضرورة التربية للإنسان تتضح في الأمور التالية، التربية ضرورية للإنسان للمحافظة علي جنسه وتقدمه وذلك لتوجيه غرائز الإنسان من عواطف وميول لكي تخدم المجتمع للحياة الأفضل.

**ومما تقدم يمكن القول بضرورة التربية وبالتالي :**

- 1- التربية ضرورية لنقدم بني البشر ورقيمهم رقيا مستمرا وإن طول مدة الطفولة تساعد الإنسان على النمو والارتقاء.
- 2- التربية ضرورية لكي يواجه بها الإنسان متطلبات الحياة وما يحدث من تنافس بين الأفراد وذلك من أجل العيش عيشة سعيدة في مجتمعه.
- 3- التربية ضرورية للأمة كما هي ضرورية للفرد فهناك تنافس للأمم كما هو قائم بين الأفراد فكل أمة تريد الأخذ بأسباب الرقي والتقدم حتى تسير ركب الحضارة وتنافس غيرها من الأمم في مختلف الميادين ثم إن ضرورة التربية للأفراد تضاهيها ضرورتها للمجتمعات فهي إذن ضرورة فردية من جهة وضرورة اجتماعية من جهة أخرى .

#### **- وظائف التربية :**

توجد للتربية وظائف كثيرة لكننا سوف نذكر أهمها وكالاتي:وهي

- 1- التربية هي عملية إعداد العقل السليم: وظيفتها تنمية العقل السليم وأن سلوك الإنسان إنما يأتي من خلال معرفته.
- 2- التربية عملية حفظ التراث ونقله عبر الأجيال: ووظيفتها هنا تكمن في نقل المعارف والمهارات من جيل الكبار إلى جيل الصغار.
- 3- التربية عملية استغلال للذكاء الإنساني: ووظيفتها هنا تكمن في اكتشاف أدوات المعرفة والذكاء هو ابرز تلك الأدوات بلا شك .
- 4- التربية عملية استثمار اقتصادي: فهي حسب هذا المفهوم عملية اقتصادية لها عائد ومردود مثلها مثل الأموال التي تستثمر في مشروع اقتصادي لها مردود هو الربح.
- 5- التربية عملية اكتساب خبرة، ومحور هذا المفهوم التربية يركز على مبدأ التعلم بالعمل والممارسة والتعلم الذاتي.

6- التربية عملية تهدف إلى تكيف الفرد مع المجتمع: ووظيفتها العمل على تكيف الفرد وفق القيم والتقاليد والعادات السائدة في ذلك المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ويتفاعل معه

**من خلال عرض المفاهيم السابقة يمكن أن نخلص منها إلى بعض الملاحظات وهي:**  
أولاً - إن أقدم هذه المفاهيم هو المفهوم الذي يرى في التربية أنها عملية إعداد العقل السليم وانه منبثق من الفلسفة المثالية التي تمجد العقل وتهمل الجسد .  
ثانياً - تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها، فمفهوم اكتساب الخبرة يتداخل مع مفهوم التكيف لان اكتساب الخبرة يمكن الفرد من التكيف السليم مع المجتمع .  
ثالثاً - احدث هذه المفاهيم واشملها وأصوبها هو مفهوم التربية عملية التكيف.

#### **- أهداف التربية :**

بالرغم من محاولة كثير من المربين قديماً وحديثاً تعريف التربية بتعريف جامع إلا أنهم اختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً، نظراً لاختلافهم في تحديد الهدف من التربية من جهة ولاختلافهم في تحديد أهداف المجتمع من جهة أخرى، ولكن على الرغم من ذلك نجد أن هناك مجموعة من الأهداف تكاد تكون مشتركة بين اغلب تعريفاتهم، ومن تلك الأهداف:

- 1- تكوين المواطن الصالح: أي تكوين الشخص الذي يمثل للأوامر والنواهي والقوانين في المجتمع من محض إرادته.
- 2- النمو الكامل للفرد: فالتربية تعد الفرد إعداداً يؤهله كي يكون متكاملأً من النواحي الجسدية والعقلية والانفعالية والخلقية والحركية . . . الخ.
- 3- بناء شخصية الفرد: حيث تعمل التربية على تكوين السلوك وتوجيهه لبناء الفرد في المجتمع من جميع النواحي.
- 4- تحقيق الكفاية الإنتاجية: حيث يتم الوصول للكفاية الإنتاجية عن طريق الخطط الموضوعية لزيادة إنتاج المصانع والثروة الحيوانية والصناعية والطبيعية وذلك بإنشاء المدارس المتخصصة لإعداد أشخاص مؤهلين لذلك.
- 5- مساعدة الفرد على التكيف: وذلك بإكسابه الاتجاهات التي تساعد في التكيف مع بيئته الطبيعية والاجتماعية.

#### **- التربية ودلالاتها:**

نستخلص مما عرضناه من مفاهيم للتربية الدلالات الآتية:

- 1- التربية عملية معقدة لأنها متعددة الأهداف والمعاني .
- 2- التربية عملية لا تتم في فراغ بل تتحقق إذا توفر طرفيها وهما المربي والمتربي والوسط الذي تتم فيه التربية من مدرسة وأسرّة وغيرها.

- 3- التربية عملية نمو بمعنى أن المربي يتعهد المتربي جسمياً وعقلياً وعاطفياً وروحياً واجتماعياً أي بمعنى تنمية كافة الجوانب عند المتربي ولا يقتصر على جانب دون آخر.
- 4- التربية عملية تتصف بالاستمرار فهي لا تنقطع في سن معينة أو مرحلة معينة من مراحل التعليم بل تمتد من المهد إلى اللحد.
- 5- التربية عملية نمو فردي و اجتماعي وإنساني، لذلك فهي عملية هادفة مخططة ذات طرق واضحة وأهداف محددة.
- 6- التربية عملية تفاعلية وليست سلبية، فهي عملية اخذ وعطاء وتأثير وتأثر.

### - الخصائص العامة التي تحدد مفهوم عملية التربية بالتالي :

- 1- إن التربية عملية اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر وذلك حسب طبيعة المجتمع والقوى الثقافية المؤثرة فيه بالإضافة الى القيم الروحية .
- 2- أنها تعني التنمية
- 3- أن التربية لا تمارس في فراغ بل تطبق على حقائق في مجتمع معين حيث تبدأ مع بداية حياة الإنسان في هذا المجتمع، وتمثل عملية النمو الشاملة له.
- 4- أي تربية تعبر عن وجهه اجتماعية لأنها تعني اختيار أنماط معينة في الأنظمة الاجتماعية والخلق والخبرة
- 5- أن محور الدراسة في التربية هو المجتمع فمنه نشق أهدافها وحول ظروف الحياة فيها تدور مناهجها ولهذا نجد أن المجتمع هو الذي يحتوي التربية في داخله .
- 6- أن التربية تستند الى أصول مستمدة من العلوم التي تفيد في فهم جوانبها المختلفة مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم السياسة وعلم الاقتصاد والفلسفة وعلم الحياة.

### - أهمية التربية :

- 1- التربية وسيلة اتصال وتنمية للأفراد : إن بقاء المجتمع لا يعتمد فقط علي نقل نمط الحياة عن طريق اتصال الكبار بالصغار أيا كان نوع هذا الاتصال ولكن بقاء المجتمع يتم بالاتصال الذي يؤكد المشاركة في المفاهيم والتشابه في المشاعر للحصول على الاستجابات المتوقعة من أفراد المجتمع في المواقف.
- 2- التربية تعمل على استمرار ثقافة المجتمع وتجديدها ونقل التراث الثقافي : وبهذا المعنى تحتل التربية مكانها البارز في ثقافة المجتمع فهي السبيل مهما كانت صورتها ومنظمتها إلي تشكيل الأفراد وتحقيق الاستمرار بين الأجيال المختلفة وفي حياة المجتمع بصفة عامة فلا بد لكل جيل أن يدرك إلي أين وصل أسلافه حتى يبدأ سيره من حيث قطعت عليهم آجالهم المسير تنتقل وتستمر عن طريق التفاعل والتنشئة والتربية .
- 3- تكون الاتجاهات السلوكية : هناك وظائف اجتماعية أخرى كثيرة للتربية تتحقق من خلال عمل البيئة الاجتماعية ذلك أن الطريقة الوحيدة التي يسيطر بها الكبار عل التربية الصغار إنما

تحدث بالسيطرة على البيئة التي يعملون فيها ويفكرون ويشعرون إن الأثر التربوي للبيئة الاجتماعية ينعكس في تكون شخصية الفرد واتجاهاته العقلية العاطفية وفي تحديد أنماطه السلوكية وإن البيئة تتطلب من الأفراد استجابات معينة في مواقف معينة فالوسط الخاص الذي يعيش فيه الفرد يقوده لرؤية أشياء أكثر من غيرها ولا اتخاذ أسلوب معين في العمل بنجاح مع الآخرين وهكذا يكتسب الفرد من هذا الوسط اتجاهها سلوكيا يظهر في نشاطه وتفاعله مع أهل بيئته، حيث تتكون الاتجاهات السلوكية في البيئة بواسطة تشكيل العادات الدافعة للطفل وتثبيتها وتعديل دوافعه الأصلية على تعديل مبدأ اللذة والألم .

4 - دور البيئة في تزويد الفرد بالمواقف والمثيرات التي يستجيب لها وفق نمط الاستجابة البيئية.

5- تكون البيئة عملية تعلم لأنماط سلوكية موجودة في البيئة لوجود مثيراتها كما أن الأنماط تختلف من البيئة لأخرى تبعا لاختلاف المثيرات واختلاف الاستجابات المترتبة عليها.

6- تحقيق النمو الشامل واكتساب الخبرة : تهئ التربية الوسائل المختلفة لتحقيق إمكانيات النمو للطفل عقليا واجتماعيا وجسمانياً والبيئة هي الوسط التربوي لذلك فالطفل يعتمد على الكبار في اكتساب الخبرة اللازمة لتكيفه وتفاعله مع الآخرين وتكتسب هذه الخبرة بتكوين العادات الإيجابية التي يسيطر بها الطفل على بيئته ويستخدمها في تحقيق أهدافه .

7- اكتساب اللغة : يتضح أثر البيئة في تعليم اللغة وتحصيل المعرفة فالطفل يتعلم اللغة وأساليب الكلام ممن يختلط بهم في مراحل نموه الأولى وتكون اللغة والمعرفة عندئذ في أبسط صورهما فالطفل عند سماعه للصوت فإنه غالبا ما يسمعه مصاحبا أو مرتبطا بشيء محسوس.

8- التربية تعمل على تحقيق الديمقراطية : والتربية في عالمنا المعاصر المكانة الأولى في تحقيق آمال الشعوب في حياة تستند إلى الحرية والعدالة وحكم القانون فهذه المفاهيم وما يرتبط بها من ممارسات لا تولد مع الأفراد وإنما يكتسبونهم بالتعليم والممارسة والتطبيق .

9- التربية تعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات : ذلك لأن انتشار المعرفة وذيوع العلم ينحو إلى إضعاف الميزات الصناعية التي تفرق بين الناس ويدعو إلى حسن التفاهم والتعاون بين هذه الطبقات وبذلك تكون التربية هي الدعامة الأساسية في تحقيق أي تحول اجتماعي يهدف إلى إذابة الفوارق بين الطبقات وجعل الامتياز في المهارة والعمل لا الثروة أو النسب أو الأصل هو أساس الحكم علي الأفراد .ومن هنا ارتبطت التربية في عالمنا المعاصر بالفلسفات الاجتماعية حيث أن أية فلسفة لا يمكن أن تتحقق بالقانون وحده أو بإجراءات وتنظيمات إدارية دون أن تستند إلى فكرة وسلوك يعبر عنه الأفراد في تفاعلاتهم وعلاقاتهم وفي داخل أنظمتهم ودوائر نشاطهم.

10- اكتساب القيم الخلقية والجمالية وتذوقها : لقد عرفنا أن للبيئة تأثيرها اللاشعوري في اكتساب عادات اللغة وأساليب الكلام من خلال نشاط الصغار وتفاعلهم مع الكبار كما أن هذا التفاعل يترك أثاره العميقة في اكتسابهم القيم والاتجاهات والعادات الخلقية.

## أسس التربية :

تعريفها: هي مجموعة من المنطلقات الفكرية التي تستند إليها التربية، وتعمل بمثابة موجهات للعملية التربوية لتقديم منهاج تربوي يخدم الفرد والمجتمع .

### - ماهية الأسس:

تهتم الأسس بمناقشة الظاهرة التربوية من جميع الجوانب للوصول الى حقائقها الدينية والعلمية والعملية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والتاريخية، وليست كما يدركها الافراد من خلال خبرتهم الذاتية، التي تتأثر بخلفيتهم واتجاهاتهم حول تقييم المحسوسات، وهذا لا يعني ان تفسر الظواهر تفسيراً وان لم تخلو من الذاتية لان الوسائل التي توصل المعلومات الى ادراكنا يعثرها احياناً شيء من الخداع ،فالعين ترى الكواكب كدائرة صغيرة بينما الحقائق الهندسية تؤكد انها اكبر من الارض، والعين لا ترى الأشياء البعيدة ولا القريبة ولا الفيروسات، ولكن هذا لا ينفي حقيقة الكواكب ولا الموجودات.

### - الأسس التاريخية للتربية

#### مقدمة في تطور التربية:

لابد لكل من يعمل في الحقل التربوي ان يكون لديه قدر من المعرفة بتطور مفهوم التربية عبر العصور التاريخية الطويلة لان فهم معنى التربية ومتابعة مراحل التطور التي مرت به منذ اقدم العصور حتى وقتنا الحاضر مما يساعد على تكوين إطار نظري لدى المربين يستند على الأسس التاريخية للنظريات التربوية المختلفة.

إن وجود البعد التاريخي أو الأصول التاريخية يساعد العملية التربوية في معرفة الاتي:-

- 1 - ما ورثته الأمة من الماضي وما اعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل.
- 2- مواجهة المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات القديمة المماثلة.
- 3 - دراسة المفاهيم التربوية التي كانت متبعة قديماً والنظر في نتائجها.

### - تاريخ التربية عبر العصور :

إن دراسة تاريخ التربية يعد مهمة للتربية المعاصرة لأنها تظهر حركة المجتمع وتفاعلاته وتأثيره على التربية، فالكثير من المشكلات المعاصرة لا يمكن فهمها إلا في ضوء دراسة العوامل والقوى التي أثرت فيها في الماضي.

إن معرفة التاريخ التربوي للتربية لا ينحصر بما دونه المؤرخون لأن تطور التربية وتاريخها الطويل لا نهاية له ويتعدى الكتب والمجلات بل انه كان قبل ظهور الكتابة، لان العملية التربوية بدأت مع بدء الحياة الانسانية .

## - التربية في المجتمعات البدائية:

وجدت التربية بمفهومها العام بوجود الحياة، فمنذ نشأة الإنسان على هذا الكوكب، أخذ كيف نفسه للطبيعة أولاً، ثم بدأ تدريجياً يسخر الطبيعة لأغراضه الخاصة، ففي خلال آلاف السنين قبل الميلاد، وقبل أن تخرج الكتابة، كانت العادات والمعتقدات والقصص تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق حفظها وترديدها ونتيجة لتراكم التراث الاجتماعي، فقد استطاع الإنسان أن يتعلم شيئاً فشيئاً كيفية مضاعفة قواه في الاتصال، وتنظيم المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك عن طريق اللغة والعادات والقوانين، واستطاع أيضاً توسيع نظره للكون من خلال اكتشافه وابتكاره لوسائل مناسبة في التنقل والسفر.

ارتبطت عمليات التفكير عند الإنسان ارتباطاً وثيقاً بعلاقاته البيئية، وبذلك فإن تركيز الرجل البدائي ليتعدى نطاق طعامه وأمنه، وأن ما يهتم به الرجل البدائي لا يخرج عن إشباع حاجاته اليومية المباشرة، ورغبته في إخضاع القوى التي تقف بينه وبين هذا الإشباع، ولذلك فقد تفتحت قواه الإدراكية الحسية، أما قواه التفكيرية فتأخرت، وهو يشعر تماماً ببيئته الحاضرة والمباشرة، وتربيته لا تعدو أن تكون أعداده لهذه البيئة دون أن تكون هناك أية محاولة للتأثير في المستقبل البعيد أو ضبطه أو للانتفاع بتجارب الماضي.

أن أهم ما أتسمت به التربية في المجتمعات البدائية، هو امتيازها بالبساطة وخلوها من كل تعقيد، إذ كانت تتم بصورة عفوية تلقائية لا شعورية، تتمثل في تقليد الصغار للعادات السائدة في مجتمعهم، والتدريب على إشباع جوعه وحماية نفسه من العوامل الجوية وتجنب الأذى وكان معظم نشاطه قائماً على المستوى الغريزي.

وكان غرض التربية في المجتمعات البدائية هو إحداث توافق وانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية، وذلك بوسائل ثابتة وطرائق معينة في القيام بالأعمال سواء كان في حالة العمل المصلحي أو في حالة العبادة.

ونظراً لكون المشكلة الرئيسية التي عانى منها إنسان ما قبل التاريخ تكمن في كيفية المحافظة على نفسه فقد تعلم بصورة تدريجية على الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الكبار كالصيد والحياسة وصناعة الأدوات ورعي الماشية، والزراعة والتدريب على الأعمال الحربية، والأعمال المنزلية وبدون شك، فإن هذه الممارسات تتطلب قدراً من التربية العقلية والخلفية، حتى يتمكن الناشئ الجديد من مواصلة بقاءه واستمراره في الحياة مع أبناء قبيلته، فقد كان اهتمام الإنسان البدائي منصباً بالدرجة الأولى على الأشياء المباشرة، الضرورية لبقائه، مثل كيفية حماية نفسه وأفراد عائلته من القوى الطبيعية المدمرة، ومن أعدائه (الإنسان والحيوان)، فقد كان الأمن هو الهدف الأساسي للتربية البدائية، فالنار والرعد والبرق والعاصفة والموت، جميعها يمكن اعتبارها عوامل بثت في قلب الإنسان البدائي وزرعت في عقله مشاعر الخوف والرغبة، وأثارت لديه فكرة العمل على التخلص من أخطارها، وترسيخ هذه الفكرة لدى صغاره، ولما كان التكيف مع ظروف البيئة مطلباً ضرورياً للأمن الاجتماعي، فقد أصبح هذا هدفاً آخر من أهداف التربية البدائية، ذلك أن الخطر العام المحيط بالمجتمعات البدائية أدى إلى أن يعيش الناس على هيئة أسر وقبائل، فجاءت نتيجة لذلك المشكلة العريقة

للحياة الاجتماعية المتمثلة بالتكيف، فانسجام الفرد مع جماعته يشكل الجزء الأساسي لتربيته، لذا فمن الضروري للإنسان أن يتكيف مع الآخرين بغية الحصول على الأمن لنفسه ولعائلته وجماعته التي ينتمي إليها، ومن ثم جاء التأكيد منصباً على الولاء القبلي بصورة أكثر من الولاء الفردي.

### مراحل التربية البدائية :

**أولاً: مرحلة الصيد:** الطعام ضرورة أولية لا يستطيع الإنسان العيش بدونها، لذلك كانت أولويات البدائي هي البحث عنه، وكانت أسهل وسيلة لإشباع غريزة الجوع هي صيد الحيوانات التي بدورها كانت تضطره للتنقل من مكان لآخر للبحث عنها، فكانت هذه المرحلة تتميز بعدم الاستقرار

**ثانياً: مرحلة الرعي:** لاحظ الإنسان البدائي من خلال خبرته في صيد الحيوانات أن بعضها يمكن استئناسه وتربيته والاستفادة منه، فاستفاد من البان وجلود ولحوم بعض الحيوانات التي داوم على تربيتها والاحتفاظ بها ثم بحث عن مراعي معشبة لتأكل منها، وتعد هذه المرحلة مستقرة بعض الشيء.

**ثالثاً : مرحلة الزراعة الأولية :** حاول الإنسان البدائي أن يستفيد من أماكن الرعي، فتعرف عن طريق المحاولة والخطأ على أنواع الثمار الصالحة للأكل، ثم بدأ زراعتها والعناية بها حتى يريح نفسه من عناء البحث عن الطعام، فكانت هذه المرحلة بداية الاستقرار وتكوين القرى وتشكيل الجماعات.

### - خصائص التربية في المجتمعات البدائية:

يمكن أن نستخلص خصائص التربية البدائية من خلا ثقافة الإنسان البدائي، التي يمكن إيجازها في أن حياته بسيطة لا تتجاوز إشباع الحاجات الضرورية، من مأكل ومشرب ومأوى، ولحماية نفسه انضم مع بعض الأفراد في قرى مكونين قبيلة، يعمل أفرادها في حرف بسيطة ومتشابهة، نستنبط مما سبق أن التربية البدائية هي :

- 1- التربية بسيطة في وسائلها وأهدافها.
- 2- التربية التطبيقية تتم عن طريق الخبرة المباشرة .
- 3- التربية عفوية تتم عن طريق التقليد الإعمى لأفراد القبيلة.
- 4- التربية تقود أفراد القبيلة إلى سلوك اجتماعي واحد.
- 5- التربية مستمرة إذ أنها لا تقتصر على مرحلة معينة من مراحل العمر.
- 6- إنها تمثل نقطة العقل البشري وإحساسه البكر بضرورة نقل الخبرة من جيل إلى جيل آخر يحتاج إليها وهي من أولى الأشياء التي وسعت الفرق بين مجتمع الإنسان ومجتمع الحيوان.
- 7- لقد كانت بسيطة في محتوياتها وكانت تجري بصورة غير مقصودة، فقد كان الأطفال يتعلمون ما تعلم آباؤهم أو أفراد قبيلتهم بالتلقين والتقليد والمشاهدة.

8- كانت العملية التربوية تتميز بالتوزيع، أي إن المجتمع البدائي ككل كان يقوم بعملية التربية، نظراً لعدم وجود مؤسسات تربوية مسؤولة كالمدرسة فكان يتولى تلك العملية الأبوان أو الأسرة أو رئيس القبيلة.

9- كانت متدرجة ومرحلية وذلك بان يتدرب الطفل في سن معينة على شيء معين يزداد في الأهمية والعمومية بازدياد عمر الطفل حتى بلوغه مرحلة الشيخوخة.

### - أنماط (أنواع التربية البدائية):

تألفت التربية البدائية من نمطين رئيسيين هما :-

1- التربية العملية التي تنسب إلى عالم المرئيات أو المحسوسات.

2- التربية النظرية التي تعود إلى عالم الغيبيات.

تضمنت التربية العملية مهمة الأعداد الضروري للحصول على ضروريات الحياة العملية وذلك من خلال التدريب المنزلي والعسكري والبدني والمهني والخلقي، وبتحرر هذه الأنماط من المنظور البدائي للتكيف الثابت مع البيئة أما التربية النظرية، فإنها شملت كلاً من التعليم الديني والأدبي والموسيقي والفني والطبي والعقلي، وشكلت هذه الأنماط البدائية، أسس الدين والفنون والطب والعلوم والفلسفة، وكان لأنواع التعلم هذه اتصال وثيق بما يسمى بفعاليات العبادة، التي تتعلق بالجوانب الروحية أو المجردة لحياة الإنسان، أما مضمون التربية البدائية، فكان يشتمل على ثلاث عمليات هي:-

1- التربية الجسدية أو التدريب البدني، نظراً لكونه ضروري لإرضاء الدوافع الأولية المتعلقة بالطعام والمأوى والملبس، وقد تركت الأقوام البدائية لأطفالها مجالاً واسعاً للحرية، التي يستفيدون منها في الركون إلى الكثير من الألعاب المسلية، ومن ألعابهم المفضلة أن يقلدوا أعمال الكبار ويتدربوا عليها منذ نعومة أظفارهم، وبذلك فإن هذه الألعاب تعد الأطفال وتؤهلهم للمشاركة في الحياة الفعلية، وتسهم بصورة فعالة في تكوينهم العقلي والفكري عن طريق شحذ قابليتهم في الملاحظة والإبداع بالتصور، مما يساعدهم ويمكنهم من العيش بسلام في الجماعات التي ينتمون إليها، وعلى المساهمة الايجابية المثمرة في النشاطات المختلفة، عندما يبلغون السن المحددة للقيام بهذه النشاطات.

2- التربية الخلقية والدينية أو التدريب الروحي الذي اعتبر ضروري، لأنه يسترضي العالم الغيبي عن نفس الشخص وعائلته، وكانت التربية الخلقية تتم بصورة عفوية ودون ما إكراه واعتقد الرجل البدائي بأن العقاب البدني مهين، وإن الإفراط في تفريع الطفل أو ضربه يجعل روحه قلقاً في جسده، ميالة إلى الانفصال عنه.

لقد حرص البدائيون على نقل بعض المبادئ السلوكية المرغوبة إلى أبنائهم، وغالباً ما اتصلت أوامرهم بتقديس الأجداد واحترام الشيوخ والآباء بقلوب ملؤها الصدق والوفاء والطاعة، وكانت السمة المميزة والغالبة لهذا النوع من التربية هي الجانب الروحي الذي يبدو بصورة واضحة في التعاليم والطقوس الدينية التي يمارسونها.

3- التربية الفكرية أو المعرفة الاجتماعية للعادات والمحرمات والتحفظات، والتي تكون ضرورية للحياة الاجتماعية المتألفة ويغلب على هذا النوع من التربية الطابع العلمي، إذ كان الهدف منها تمكين الطفل من أن يكون قادراً على إشباع حاجاته أولاً، وتلبية حاجات أسرته فيما بعد، وهذه التربية تختلف تبعاً لاختلاف الجنس، ولنمط الحياة في القبيلة فكان الأطفال الذكور يتعلمون صيد الحيوانات والقتال، وإعداد أدواته، واقتفاء أثر الحيوانات المفترسة وتسلق الأشجار، في حين كان الأطفال الإناث يتعلمن كيفية بناء الكوخ وإعداد الطعام وصناعة الملابس والاحتطاب في الغابة والعناية بالأطفال وصنع السلال، إضافة إلى مساهمتهم في الحصاد وفي تنقية الحبوب وطحنها وخبزها. وكانت عملية التعليم هذه منطوية بالكبار، فقد اختص الرجل البدائي بتعليم الذكور الحرفة الملائمة لهم، واختصت المرأة بتعليم الإناث من الأطفال الأعمال المخصصة لهن، ولم تخرج التربية في هذه المرحلة عن كونها عملية تقليدية لاشعوري تلقائي.

إن معظم أنواع التربية في المجتمعات البدائية، كانت تتم عن طريق الملاحظة والتقليد والمحاولة والخطأ، ولم يكن هناك نوع من التعليم المنظم، فالرجل البدائي لم يعمل قط وفي أرقى مراحل تطوره إلى القيام بعملية التربية المنظمة، ولم تخرج التربية عن كونها عملية إرشاد وتوجيه الفرد لممارسة عادات مجتمعه وتقاليده، وذلك عن طريق تلقينه التراث الثقافي لذلك المجتمع الذي يعيش فيه ولم تظهر طريقة التعليم بالشكل المعروف، إلا بعد أن تجاوزت البشرية مراحل الهمجية إلى المرحلة الثقافية المعروفة بالمدنية، ولم يظهر التعليم بمعناه المفهوم إلا بظهور طبقة معينة ذات وظيفة كهنوتية تحتم تربية طبقة مخصوصة، وتلقيها التعليم الدينية، إذ تكون هذه الطبقة ظهرت لأول مرة في التاريخ جماعة اختصت بشؤون التربية، ويمكننا أن نلمس هذا التقدم التربوي بحياة الإنسان في الأمور التالية: -

1- ظهور طبقة المعلمين.

2- تحديد مادة الدراسة.

3- ظهور اللغة والأدب كأساس لعملية التربية.

ولما ظهرت الكتابة في المجتمع البشري ومعلوم إن أول مجتمع اخترعها هو المجتمع السومري في العراق، إذ أظهرت المكتشفات الحديثة في العراق بعض كراسات للتلاميذ استخدموها السومريون حوالي (2000) قبل الميلاد، كما وجدت آثار في مصر تدل على إن المصريين القدماء تعلموا القراءة والكتابة واستخدموا في الأدب والرياضيات المعابد والقصور وذلك في عام 3500 قبل الميلاد ، وتطورت التربية بظهورها وأصبح بإمكان من يتعلم رموزها إن يدون أفكاره وينقلها إلى غيره من معاصريه أو من يجيء بعده، فازدادت مسألة التخصصات رسوخاً وازدادت التربية قرباً وترسخت العلاقة بين المعلم وتلامذته وأهتم اليونانيون بالتربية اهتماماً كبيراً، وكان ذلك واضحاً في نظم التربية التي استخدموها في تربية أطفالهم وتعليمهم وفق مناهج تعليمية منظمة، وبصورة عامة فقد انقسمت التربية إلى نوعين متميزين هما التربية الإمبرطية التي ركزت على الجانب العسكري الصرف، والتربية الأثينية التي وازنت بين الجانبين العقلي والجسمي في مناهجها التربوية واتسمت التربية العربية

الإسلامية بطابع متميز، إذ استمدت مبادئها وأهدافها من تراث الأمة وتعاليم الدين الإسلامي، فأنجبت حضارة زاخرة بالمعارف والعلوم المتنوعة وأنجبت علماء أعلام في شتى الميادين، وضعوا نظريات عديدة في الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية والفن واللغة والأدب . . . وغيرها.

كانت هذه النظريات والعلوم موضع بحث وتمحيص ومناقشة، ومازال العديد من الباحثين يعتمدون عليها في دراساتهم بغية الوقوف على الحقيقة التي يهدفون إلى معرفتها وتوكيدها. في العصور الوسطى ظهر نوع من التعليم، اقتصر على أبناء التجار والحرفيين، وأبناء الطبقة الأرستقراطية، وحرمت غالبية الجماهير من حقها في التعلم، وقد ساهمت النقابات الحرفية في تقديم كل أنواع التدريب المهني، وفي نهاية هذه العصور كان الاهتمام المحلي عظيمًا بالتعليم، فقد كان كل مجتمع ثري يفخر بتأسيس المدارس كما خصصوا أموالاً للمنح الدراسية العديد من الطلبة الذين كان مقدرًا لهم الجهل، بيد إن هذا العدد من الطلبة الفقراء لا يشكل سوى نسبة ضئيلة جدًا مقارنة بمجتمع الأميين الذين حرّمهم الأغنياء فرصة التعلم. وعندما قامت الثورة الصناعية، وما صاحبها من تغيير في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، إذ كانت المجتمعات الأوروبية تعاني من ظروف وأوضاع سيئة لاسيما بالنسبة للأطفال، فقد أدى هذا الأمر إلى سن القوانين وتشريع الأنظمة التي تحدد ساعات العمل، وتتيح فرص التعليم والدراسة للأطفال، وتؤكد على ضرورة منح الأطفال قدرًا كافيًا من التعليم، وكانت نتيجة ذلك إن انتشرت المدارس ذات الدوام غير الكامل، إذ كان الصبي يقوم بأداء عمل في المعمل، ويخصص له الوقت المناسب للذهاب إلى المدرسة. وفي مطلع القرن التاسع عشر الذي تميز بالتقدم العلمي والنهضة العلمية، فقد انتشرت المدارس، وفتحت أبوابها للراغبين في التعليم وبشكل عام وتطور نتيجة لذلك التعليم، وتنوعت أساليبه ووسائله وظهرت أنواع مختلفة من المدارس، وهكذا تغيرت النظرة نحو المدرسة في مكان معهد للتعليم إلى محل معد لتربية الطلبة وتوجيههم وإرشادهم لمواجهة مطالب الحياة، وتزويدهم بالمهارات والخبرات التي تساعد على شق طريقهم في الحياة الاجتماعية، بما يضمن لهم ولمجتمعهم حياة سعيدة وكريمة.

#### - الأهداف التربوية في المجتمعات البدائية هو :

أ - أن يقلد الناشئ عادات مجتمعه وطرز حياته تقليدًا تامًا، أي تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية .

ب - توفير الأمن، حيث كان الإنسان البدائي أكثر خوفًا، فهو باعتقاده أن هناك قوى لا يراها تسبب له المصائب، فكان خوفه حتى من الكائنات غير الحية مثل: الأشجار والحجارة، حيث يعتقد أن لديها أرواح تغضب وتهدد، وإن غضبت فإنها تنتقم وتثأر، وبسبب ذلك الخوف كان عليه توفير الأمن بإرضاء الأرواح، ونقل هذه المعتقدات لهم.

## - وسائل التربية في المجتمعات البدائية :

فهي جملة المؤسسات والنظم الاجتماعية، أو المجتمع بأسره ولا تتولى هذه المهمة بالتالي أية مؤسسة تربوية مدرسية خاصة، ولذا فإن أثر التربية في المجتمعات البدائية كان غير مباشر يتم عن طريق النقل الحي والمتصل للمعتقدات والعادات السائدة في المجتمع، وفي معظم الأحيان يكتسب الناشئة عادات الكبار ويتمرسون بمواقفهم الانفعالية والعقلية عن طريق الاسهام المباشر في أنشطتهم، وهذا الاسهام يتم أيضاً على نحو غير مباشر عن طريق التمثيل والرقص والتقليد.

## - التربية في بعض الحضارات القديمة :

نتيجة لتطور الحياة وتعقدها أصبح من الصعب على الوالدين أو العائلة القيام بعملية التربية، ومن هنا نشأت مهنة جديدة هي مهنة المربين أو الإطار الذي يرضى عنه المجتمع، وكانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة إلى أن تطورت الأمور ونشأت المدارس النظامية، ومع هذا التحول والتطور ظهرت الكتابة وبدأت الحضارات تسجل نظمها وقوانينها وشرائعها ومن هنا وصلت إلينا بعض المعلومات عن تلك الحضارات القديمة وأساليبها التربوية وطرقها في نقل التراث وتطبيع الأفراد بطابع الجماعة.

## وسوف نتطرق إلى بعض الحضارات القديمة ومنها الاتي:

### اولاً/ التربية والتعليم في وادي الرافدين قديماً

إن حضارة وادي الرافدين تمتد جذورها في المعرفة والتعليم إلى فجر التاريخ إذ بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف القرن الألف الرابع قبل الميلاد. غدت حضارة العراق القديم منذ السومريون والأكديين ومن تلاهم تنمو وتتور بانتظام حتى شعت بنورها ونفوذها في القرون التالية، وامتد هذا الإشعاع إلى خارج الرقعة الجغرافية التي وجدت فيها فشملت بقايا عديدة في جميع الجهات المحيطة بالعراق القديم والتي وقعت في النهاية تحت هيمنة الثقافة التي ترعرعت في حوضي دجلة والفرات. كان ربوع الرافدين مركزاً للثقافات التي انتظمت بشكل فريد ثبت خلاله دقة التنظيم الاجتماعي، إذ إنها كانت تضرب بجذورها في الأرض، وهذا هو سرها الخالد الذي تطلبه الوجود الإنساني العراقي.

لعب العراق دوراً حضارياً مرموقاً، ففي بلادنا الحبيبة ظهرت لأول مرة مراكز حضارية زاهية تمتد جذورها إلى عصر المعرفة والتعليم في فجر التاريخ في سومر وأكد، وظلت ثقافة سومر مزدهرة باستمرار على مدى ما يقارب من (3000) عام ولم تنحسر وتنكمش هذه الحضارة إلا في منتصف القرن السادس في عصر الاخمينيين ثم تلاشت في نهاية العصر السلجوقي، ووضعت حضارة وادي الرافدين أسس علم الفلك، وعلم التنجيم، وقياس الزوايا واستخدام الأقواس، واختراع العربات، واختراع الكتابة المسمارية، وقد وجدت وثائق كتابية

مهمة عن حضارة العراق القديم تضمنت معلومات اقتصادية وأدبية وقانونية وعلمية وأساطير ملحمية وسجلات سياسية يعتز بها.

إن الإنسان في هذه المنطقة كما يقول المؤرخون سبق الناس كلهم في جميع المجالات فهو أول من تفاهم بالكلمة المكتوبة وتلك هي أعظم خطوة خطاها البشر في طريق الحضارة. انشأ الانسان وادي الرافدين أول مدرسة فكان هناك أول تلميذ وأول معلم وأول كتاب مدرسي وأول قاموس وأول مكتبة، وكلها أحداث فريدة في تاريخ البشرية. إن هذه الخلفية الحضارية الأصلية كانت وما زالت وراء عبقرية هذه الأمة وهذا البلد الذي استطاع إن يسترجع أبان الثورة العربية الإسلامية عصره الذهبي واشعاعه الحضاري.

### - المدرسة العراقية القديمة :

دل مسح النصوص التي يمكن إرجاعها إلى (الألف الثالث ق. م) إلى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تدعو إلى الاندهاش، وهي فترة قديمة تسبق مباشرة ظهور الأزمنة البابلية القديمة نحو ( 2000 ق. م)، فضلا عن ذلك فانه في عصر حمورابي ظهرت مؤسسات تسعى إلى نسخ الكتابات، وتعمل على تعليم الناشئة، بحيث إنها كانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها في وادي الرافدين وفي كل مراكز المدينة المهمة. وردت لفظة المدرسة في اللغة السومرية بصيغة (أي - دويا) وقد ترجمها الأكديون ببيت توبي أي (بيت الألواح)، أما الملوك فقد كانوا يتبحرون بما كانوا يتعلمونه من القراءة والكتابة، ويعتبر ذلك شرفا كبيرا.

دلت المواضع الأثرية المكتشفة حديثا على بنايات المدارس إذ وجدت فيها كلمات تشير بوضوح الى الجهد المضني الذي يقوم به التلميذ الصغير بالكتابة المسماة المعقدة، وكما ذكرنا سابقا فان أول مدرسة في العالم كانت قد أسست في هذه البلاد الطيبة بلاد ما بين النهرين.

لقد غدا التعليم في بلاد سومر بعد أن ازدادت المدارس زيادة ملحوظة نظاميا، وقد اكتشف في أواخر القرن العشرين عدة من الألواح المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الإدارة والاقتصاد، وتظهر الألواح أيضا إن الذين مارسوا فن الكتابة كانوا بالآلاف، وكان هدف المدرسة السومرية ابتداء الاقتصار على تعلم اللغة السومرية ثم تدريب موظفين في شؤون الاقتصاد ليعملوا في دواوين الدولة وفي المعابد أيضا، كما إن ظهور النساخ المحترفين كان استجابة لحاجات المجتمع للاحتفاظ بالسجلات وترتيب نظم معقدة للسيطرة الإدارية، وللكتاب ألقاب تتعلق بالجانب الذي يمارسه كل منهم وتكتب باللغتين السومرية والأكدية مثل كاتب العقود أو نقاش الأختام أو المساح أو المسجل العسكري أو المستشار أو أمين السر أو الكاتب العمومي المختص بجماعات العمال.

مدتنا الاكتشافات الأثرية بالترتيبات المتعلقة بصفوف الدراسة في بابل القديمة إن في المدرسة غرفا ذات مساحات متواضعة تكاد تنبئ عن أنها كانت اماكن للتعليم المنظم وتحتل وسطها مصطبات واطئة من الاجر، يختلف عرض كل منها من حيث الاتساع، فمنها ما يتسع لواحد أو اثنين أو لأربعة من الطلاب، أما المصاطب الأقل اتساعا فتقع بمحاذاة الجدران،

وحول هذا الموضوع كانت تنتشر مجموعات من الألواح للتمرس على الكتابة، والحقيقة إن المعلومات التي توصل إليها المؤرخون والمنقبون لم تجد تصميمًا معينًا لبناية المدرسة، فقد وجدوا أنها تختلف كثيرًا عن بيوت السكن الاعتيادية.

لقد تخرج في تلك المدارس العلماء والباحثون والمختصون في مختلف فروع المعرفة، كما عرفت علوم الجغرافية والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة، فضلًا عن الكتابات الأدبية التي امتازت بالإبداع، وكان قسم من الخريجين يمارس التعليم ويعتمد في معاشه على مرتبه، وهؤلاء يقضون جل وقتهم في الكتابة والبحث، وقد كانت رواتب المدرسين تدفع من أجور الطلاب، ومعنى ذلك أن التعليم كان مقابل أجر، لذا يمكن القول بأنه كان مقتصرًا على أبناء الأغنياء، وعدد قليل من الفقراء، ذلك لأن الأجور كانت باهظة.

أما عن نصيب المرأة في العراق القديم من التعلم فقد وجد من بين الأسماء التي سجلت في مدرسة عراقية قديمة أسماء كاتبات تدوين، كما إن الاكتشافات دلت على إن كثرة من النساء في العصور البابلية كن متعلّقات ولهن شأن في حياة المجتمع وإعماله.

نظام التعليم والمناهج الدراسية من الحقائق البارزة التي يجدر ذكرها على نظام التعليم في المدرسة السومرية هي إن المدرسة لم تكن على شيء مما يمكن تسميته بالتعليم الحر التقديمي، فقد كانت العصا غالبًا هي التي يلجأ إليها المعلم للمحافظة على النظام، ومع ذلك فقد كان المدرسون يشجعون طلابهم عن طريق المديح والثناء لقد كان نظام التعليم ليس سهلاً، فالطالب لكي يحقق النجاح يجب إن يواظب على دروسه في المدرسة يوميًا من الشروق حتى المغيب، وكان النظام يجيز للطلاب التمتع بعطلة معينة في وقت من أوقات السنة الدراسية.

إن سنين الدراسة كانت طويلة، فالطالب يلزم المدرسة منذ صباه إلى أن يصبح شابًا، وكان بحاجة إلى تعب سنين مرهقة كي يحقق السيطرة على تعقيدات فن الكتابة، وكان نظام المدرسة يتطلب فترة تحضيرية يتخللها الامتحانات، و إعادة الامتحانات.

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة العراقية القديمة عرفت مناهجها الدراسات العليا، ولما يسم آنذاك بالتعليم النظامي وكان مكان المدرسة التي كانت ملحقة عادة بالمعبد الذي يكون في المدن الرئيسية، وقد اشتهرت كل مدينة عراقية قديمة بمنهج معين، فقد اشتهرت (اور) بتدريس الطب وعلم الفلك والتنجيم والأدب، والفن، واشتهرت الوركاء بالطب والعقاقير والأدب، واشتهرت (أيسن ولارسا) بعلوم الرياضيات والفلك، واشتهرت (مملكة اشنودا) بالتجارة والرياضيات العالية.

لقد سبق العراقيون القدامى اقليدس بالرياضيات والهندسة المجسمة بحوالي (1500 عام)، إن الوثائق السومرية تبين لنا إن المنهج المدرسي كان يشتمل على نوعين من الدراسات هما الدراسات العلمية والدراسات الأدبية.

إن قوائم الكلمات التي اكتشفت حديثًا في الألواح المدرسية تشير إلى المنهج المدرسي الذي كان يشمل: المواقع الجغرافية والجداول الرياضية، والصيغ السومرية، والتعويضات الدينية ومجموعات الأمثال والمصطلحات التقنية التي تخص مختلف المهن والحرف والخرايط وعقود العمل.

## - الإدارة المدرسية

كان مدير المدرسة يدعى أب المدرسة وكان يلقب (بالأستاذ) احتراما له وإذا ما ذكر فانه يذكر بالاحترام اللائق، وقد جاء في إحدى المدائح النموذجية (الأستاذ هو الإله الذي يبني الإنسانية)، أما المعلمون فكانوا يتمتعون بمركز اجتماعي مرموق فهم اعلى من الكهنة والضباط والولاة ويدعى المعلم (أليا) ويعني العلامة أو الأستاذ، ويعتقد السومريون والبابليون إن (الأليا) يعرف كل شيء طالما يعرف الكتابة بالخط المسماري، لان الخط المسماري كان مقدسا لان البشر أخذوه عن الآلهة ولكنه كان لنوع واحد من البشر هم الأساتذة. أما التلاميذ فكانوا يسمون أنفسهم (أبناء المدارس) وكانوا أيضا يتمتعون بمكانة محترمة في المجتمع.

إن الأستاذ كان يدعو تلامذته (أبنائي) ويسميهم أيضا أبناء بيت الرقم، وهكذا تجمع المدرسة في وادي الرافدين عناصر مهمة وأساسية: مدير المدرسة، الأستاذ، التلاميذ، ولكن يبقى الأستاذ مقدسا فقد انشد احد التلاميذ مشيدا بأستاذه: أيها الأستاذ الله جعل فيك الحكمة: أنا عبدك كالدمية ففتحت عيني ونفحت في الحكمة، لقد ظل الأستاذ مطلق التصرف بالتلميذ، فسلطته تفوق سلطة (الأب) ورد في أحد النصوص المسمارية وصف الأستاذ. رجل يستطيع أن يفعل كل شيء، انه يفعل ما يريده، أما الشخصية التي تأتي بعد الأستاذ فهي ما تسمى بـ(اداديا) أي « ابن الرقم » وعمله التدريس المستمر، وهناك شخصية أخرى تشبه وظيفة المراقب اذ يقوم بمساعدة الأستاذ، ويجب عليه اجتياز مرحلة اعلى من الدراسة بالنسبة للطلاب المبتدئين وواجبه أحيانا الإنابة عن الأستاذ في تعليم التلاميذ القراءة والكتابة وحفظ النظام في المدرسة، كما أنه مسؤول عن نظافة المدرسة ودوام الطلاب، وهو ينفذ كل تعليمات الأستاذ، ويوجد ضمن الهيئة التدريسية وظيفة (كاتب) وواجبه كتابة التمارين للطلاب بالإضافة إلى إن لديه واجبا أساسيا آخر هو الاهتمام بسلوك الطلاب وسمعتهم ومراقبتهم داخل المدرسة.

## - المكتبات:

كانت المكتبات منتشرة في كل المدن الإقليمية تقريبا، وعلى مسافة متاخمة لكل مكتبة وكانت توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها، أما اكبر مجموعة من الألواح فكانت تتمثل في المكتبة الخاصة (بأشور بانيبال) في نينوى، فقد كان الملك مولعا بالآثار شأنه شأن أي عالم اثاري، فنظم حملة للبحث عن نطاق الإمبراطورية عن الآثار والنقوش القديمة وجمع كل المصادر الثقافية والتاريخية لاسيما في بلاد سومر واكّد، وقد عثر على (25000) لوحة سليمة أو محطمة في مجموعة الإمبراطور آشور بانيبال، ومن الألواح التي تعنى بالقضايا الاقتصادية والإدارية التي وجدت يتضح إن عدد الكتبة الذين يمارسون حرفة النسخ تجاوز الألوف في العهود السومرية العلاقة بين البيت والمدرسة : - إن الوثيقة المدرسية التي تتحدث عن الحياة اليومية لطالب مدرسة هي واحدة من أعظم الوثائق الإنسانية التي اكتشفت في الشرق حتى الآن، إذ إنها تحتوي على مقالة كتبها معلم مدرسة عراقية قديمة جاءت بأسلوب بسيط وكلمات واضحة تؤشر إن التلميذ العراقي حينئذ لا يختلف عن أخيه التلميذ السومري، إن الوثيقة

تتحدث عن تلميذ صباحا فيحث أمه للإسراع بأعداد وجبة غذائية التي يصحبها معه إلى المدرسة، انه يتجنب قدر الإمكان سوء السلوك في المدرسة وان المقالة تبدأ بسؤال مباشر موجه إلى التلميذ: إلى أي مكان ذهبت منذ كنت طفلا صغيرا ؟ التلميذ: ذهبت إلى المدرسة، وقال كاتب المقالة: ما الذي كنت تفعله في المدرسة؟ التلميذ يجيب إجابة مطولة يقول فيها: كنت استظهر لوشي القديم واحظر لوشي الجديد ثم أتسلم واجبي الشفهي، وبعد الظهر يعينون لي واجبي الكتابي، وعندما انصرف من المدرسة وأعود إلى البيت أجد والدي جالسا هناك فاقرا أمامه ما حفظت من دروسي فيسره ذلك وأنام فاستيقظ في صبيحة اليوم الجديد، وهكذا تتكرر واجبات التلميذ اليومية، إن التلميذ الذي يخبره معلمه إن كتابة لوحه ليست مرضية فانه بعد عودته إلى البيت يرجو أباه إن يدعو المعلم إلى البيت اذ يحتفل به الجميع ويجلسونه في مقعد الشرف عادة إلى رجاء ابنه ويدعو المعلم إلى البيت اذ يحتفل به الجميع ويجلسونه في مقعد الشرف ويقف الطالب على خدمته ثم يتلو على مسمع معلمه ووالده ما حفظه من واجبات شفوية، وفي ختام الزيارة يشكر الوالد معلم ابنه ويكرمه، ويقدم له بعض الهدايا اللائقة، ويقوم المعلم بعد ذلك بدوره فيثني على تلميذه متمنيا له إتقان واجباته ويدعو له بالنجاح والمستقبل الزاهر.

### - ثانياً / التربية في حضارة وادي النيل:

اهتم المصريون القدماء اهتماماً كبيراً بالتربية اذ كانوا يرون أن المعرفة وسيلة لبلوغ الثروة والمجد.

ونظراً لتعدد المجتمع والحياة المصرية القديمة كان لابد لابن وادي النيل أن يتقدم خطوات أبعد من الإجراءات التربوية البسيطة التي كانت موجودة في مجتمعات اقل في المستوى الحضاري وبسبب ذلك التعدد ايضاً لم يكن في المستطاع أن يكتسب الفرد الخبرات اللازمة لخلقه عنصراً في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار ولهذا كان لابد من وجود نظاماً مدرسياً وتعليمياً أرقى، اذ فتحت المدارس والمعاهد العلمية التي طرق أبوابها التلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة لمجتمع ضرب سهماً وافراً في التقدم الحضاري وخاصة في ميدان الصناعة، وان غرض المدارس بصورتها النظامية كان أكثر اهتماماً بالأمور المتعلقة بتعلم اللغة والأدب وقد اخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف ومختلف الأنشطة الأخرى في الدولة ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس متاحة لكل من يريد تعلمها، وقد كان النظام التربوي آنذاك يقسم إلى الاتي:

- 1- مرحلة تعليم أولية للأطفال في مدارس ملحقة بالمعابد.
  - 2- مرحلة متقدمة وهي عبارة عن مدارس نظامية يقوم بالتعليم فيها معلمون مختصون إلا إنها كانت تقتصر على أبناء الفراعنة والطبقة الأولى والخاصة.
  - 3- مرحلة التعليم المهني، علوم الرياضيات والفلك والطب.
  - 4- مرحلة التعليم العالي حيث كان لديهم جامعات تدرس والهندسة.
- كما يمكن تحديد اهتمامات التعليم المصري القديم بثلاثة أبعاد هي:
- التدريب المهني:** الذي كان يهدف إلى إكساب الفرد مهارات من فروع الحياة العملية.

**تعليم الكتابة:** وذلك لما للكتابة من أهمية وللكاتب من قيمة في ذلك العصر.  
**التوجيه الأخلاقي:** فالمجتمع المصري القديم يهتم جداً بالجانب القيمي والأخلاقي إذا كانت كتاباتهم مليئة بالأخلاق والحكم.

**أما أهم أهداف التربية المصرية القديمة فيمكن إجمالها بالآتي: -**

- 1- تعليم أبناء المجتمع مبادئ الاحترام الصحيح للآلهة.
  - 2- تعليم أبناء المجتمع السلوكيات اللازمة لخدمة الحياة الدينية.
  - 3- تعليم أبناء الطبقات الراقية مختلف أنواع العلوم النافعة.
  - 4- نقل ثقافة المجتمع للناشئين.
  - 5- تعليم أبناء الكهنة العلوم السرية.
- وبهذا نجد أن من أهم خصائص التربية المصرية القديمة أنها تربية نظامية صارمة، متنوعة، واقعية، قاصرة على القلة القادرة وخاضعة لسيطرة الدولة وطبقة الكهنة.

### **ثالثاً / التربية في حضارة الصينية:**

كانت التربية الصينية تجمع في الفرد حياة الماضي وتنشئته على عادات فكرية وعملية ، دون أن تقوي أية ملكة لديه، فلم تكن نظام ديني ولا عبادة؛ وإنما هي نظام فلسفي، فقد اهتمت بتمكين المواطن الصيني من معرفة الآداب المقدسة والإمام بها، ليتمكن من العيش مع أبناء مجتمعه على وفق قوانين الطبيعة، إذ كانت الغاية من التربية هي تسيير الفرد على صراط الواجب، والمحافظة على أعمال الحياة، وما يتعلق بها من عادات وتقاليد والسير بموجب هذه المعاملات، وكان ذلك يقوم عن طريق المحاكاة والاعادة والتكرار.

**الحضارة الصينية حضارة قديمة وعريقة ويتميز جانبها التربوي بما يأتي:-**

- 1- ان التربية محافظة هدفت إلى الحفاظ على العادات والتقاليد الماضية دون المساس بها أو محاولة تغييرها.
- 2- التعليم فيها أهلي لقاء اجر ويعتمد التلقين الآلي والقوة أساسا للانضباط.
- 3- طرق التدريس كانت تعني بتمرين الذاكرة.
- 4- لم يكن للبنات نصيب في التعليم.
- 5- الخضوع للتقاليد والعادات القديمة خضوعاً تاماً.

لم يكن للصين نظام تعليمي حكومي، وقد انتشرت مدارس في القرى وهي عبارة عن معاهد ساذجة لا تزيد عن حجرة واحدة في كوخ صغير كان يدرس فيها معلم واحد يتناول أجره من أبناء التلاميذ وكان أجراً ضئيلاً، ولم يكن يلج لهذه المدارس إلا أبناء القادرين، أما الفقراء فلم تتح لهم فرص التعليم وغالباً ما كانت المدرسة تأخذ مكانها في معبد من المعابد إن لم تجد كوخاً مناسباً أو سقيفة أو ركناً يأوي التلاميذ ولم تكن هناك مدارس للبنات، على أن الدراسة بهذه المدارس المتواضعة خضعت لنظام صارم فكان الأطفال يأتون مع مطلع الشمس ويدرسون إلى قرب المغيب، ولهم فترات راحة يتناولون فيها الطعام وكانوا يتعلمون فيها

القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وشيئا من كتاب كونفوشيوس وبعض الشعر، وكان المعلم يلجأ إلى تحفيظ التلاميذ عن ظهر قلب وإلى استخدام العصا وكانت الكنفوشية عقيدة المعلمين، وكان على التلميذ إن يتم دراسته في مدة تتراوح بين 3 - 5 سنوات، وتلي هذه المرحلة التعليم الثانوي ثم العالي وفيها يتعلم الطلبة نفس الكتابات الفلسفية والدينية ولكن بزيادة أكثر وشروح إلى جانب دراسته التاريخ الصيني والقانون والمالية والشؤون الحربية والزراعية، ويتمرن الطلبة على كتابة الشعر والمقالات على النمط الذي سار عليه أجدادهم، وفي الكليات (جميعها كانت أهلية) كان يتحتم على الطلبة التبحر في الكتابات الكلاسيكية.

إن التربية الصينية تتمثل بما جاء به الفيلسوف الصيني الشهير (كونفوشيوس) الذي ظهر كمصطلح عظيم (478 - 551 ق . م) والذي عرف عنه انه عقل راجح وحكمة عالية، فقد استطاع إن يحقق نجاحا في أفكاره التي تقول بالأخلاق العلمية والنفعية القائمة على سلطة الدولة والأسرة وعلى منفعة الفرد أيضا، وقد امن الصينيون بتعاليمه بل قدسوها على مر العصور، **لقد حددت تعاليمه العلاقة السياسية والاجتماعية والأخلاقية ويطلق عليها «العلاقات الخمس» التي ينبغي أن يتعلمها الأطفال كمبادئ للسلوك المرغوب به وهي :**

علاقة الحاكم والمحكوم.

علاقة الأب بابنه.

علاقة الزوج بزوجته.

علاقة الأخ بأخيه.

علاقة الصديق بصديقه.

كما أكد عن الفضائل الخمس وهي (الإحسان، العدالة، النظام، الحزم، والإخلاص) ومن آراءه إن الإنسان خير بطبعه وليس بشيرير وان هدف التربية الاحتفاظ بطبيعة الإنسان، كما يعتقد إن الإنسان يميل إلى الفضيلة كما يميل الماء إلى الانسياب إلى الأسفل، لقد دعا إلى تنظيم الأسرة وفق أسس أخلاقية سلمية، ولهذا فقد تبوأ الأسرة الصينية موقعا متميزا وأساسيا في عملية التربية ذلك إن مهمتها الأولى تتلخص في تمهيد الطريق أمام الأطفال لكي يسهل عليهم دخول المدرسة.

وتعد الأسرة أساس التنظيم الاجتماعي وان خطيئة الإباء قد يعاقب عليها الأبناء، وبذلك فقد تمكنت الأسرة من السيطرة على المجتمع.

### **نظام التعليم والامتحانات:**

اهتم الصينيون بنشر التعليم وفتح المدارس حتى غدت الصين أغنى بلاد العالم بالمدارس، إلا أن التعليم فيها انصف الجمود، وكانت المدارس أولية أو ثانوية وعالية، وفي المدارس الأولية يتم الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيئا من تعاليم كونفوشيوس، ويتعلمون في المرحلتين الثانوية والعالية الفلسفية والدينية وتاريخ الصين والشؤون الحربية والزراعية والقانون والمالية والشعر وكتابة المقالات، وكانت الامتحانات المعيار لانتخاب موظفي الدولة ومن ينجح في هذه الامتحانات يصبح موضع احترام الشعب وله الصدارة في الحفلات

والأعياد وتجري الامتحانات تحت إشراف الدولة، اذ تعهد أدارتها إلى لجنة من كبار العلماء، وتعقد في مراكز المقاطعات أو في العاصمة وهي ثلاث درجات: -  
**امتحانات الدرجة الأولى:-**

تجرى هذه الامتحانات مرة كل ثلاث سنوات في العاصمة المقاطعة، ويطلب من الطالب الممتحن كتابة ثلاث مقالات في موضوعات مختارة من كتاب كنفوشيوس، وتعقد في حجرات منفصلة ويمكث الطالب فيها ما بين 18 - 24 ساعة، ونسبة النجاح فيها ضئيلة لا تتجاوز 4% وتكرر هذه الامتحانات اربع أو خمس مرات حتى تسنح الفرصة بانتقاء العدد المطلوب، ويحق لمن ينجح في هذا الامتحان إن يتقدم لأداء امتحان الدرجة الثانية.

#### **امتحانات الدرجة الثانية:-**

تعقد هذه الامتحانات مرة كل ثلاث سنوات أيضا في عاصمة المديرية وتشبه امتحانات الدرجة الأولى في نهجها، إلا إنها اعم وأكثر صعوبة ومدة الامتحان ثلاثة أيام وتشمل على الموضوعات التنظيمية والنثرية، ونسبة النجاح لا تتجاوز 1 % من الطلبة المتقدمين، ومن أجل الحصول على العدد المطلوب لإشغال الوظائف الحكومية فإن هذه الامتحانات تتكرر ثلاث أو أربع مرات، ويحق لمن ينجح في هذه الامتحانات إن يتقدم لأداء امتحانات الدرجة الثالثة.

#### **امتحانات الدرجة الثالثة:-**

تعقد هذه الامتحانات في العاصمة في اغرب قاعة امتحان تتكون من عشرة آلاف غرفة، تخصص لكل طالب غرفة وتدوم لمدة ثلاث عشر يوما وتشمل على موضوعات في الأدب والأخلاق والفلسفة وكتابات كنفوشيوس، ونسبة النجاح فيها اكبر من امتحان الدرجة السابقة، ومن ينجح في هذا الامتحان يأمل أن يكون تلميذا ضابطا في الجيش، ولم يشترط في هذه الامتحانات سن محددة، فقد كان يسمح للشخص أن يتقدم للامتحان في أي سنن مدى حياته. ويبذل الممتحنون جهودا كبيرة وشاقة من أجل النجاح، إضافة لما تقدم فإن هناك امتحانا اعلى لا يدخله إلا الأطباء والعلماء المسجلون، ولا يبلغ عدد الناجحين فيه أكثر من عشرين شخصا، وينال الناجحون فيه وظيفة رفيعة، تعدهم لأن يكونوا أعضاء في المجلس الإمبراطوري يقومون بوظائف استشارية واعمال رسمية.

تعد الامتحانات والتعاليم الكنفوشية التي يعتنقها الصينيون من أهم القوى والنظم التي أثرت في المجتمع الصيني، ونظم الامتحانات هي الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها تمت السيطرة على الطبقة المتعلمة، وبالتالي على الحكومة، إذ إن هذه الامتحانات كما ذكرنا هي المعيار الذي ينتخب به موظفو الدولة.

لقد وضع هذا النظام حوالي سنة (617 ق . م)، ومنذ عام 1895م حدثت تغييرات في هذا النظام التربوي الصيني تناولت الامتحانات والمواد الدراسية ومراحل التعليم، وحدث هذا التغيير نتيجة الاحتكاك بالثقافات العالمية وعن طريق الاتصال بوسائله المتعددة. إن نظام التربية الصينية قد حقق نتائجه المرجوة في استقرار المجتمع وبقاء الإمبراطورية والحفاظ على التقاليد الموروثة، كما انه اخضع الفرد للتقاليد والقيم والفضائل الأساسية في

المجتمع التي كانت سائدة في تلك الفترة، فضلا عن ذلك فقد اعتادوا على الصبر وإتقان المواد الدراسية والقدرة على الانتباه الإرادي لدى الفرد.

**رابعاً / التربية في حضارة اليونانية :**

التربية اليونانية كانت وما زالت تحتل المقام الأول في تاريخ التربية، فقد قدم الشعب اليوناني نتاجا ضخما من الفلسفة والعلوم والأدب أشادت به الأجيال، فالجنس البشري مدين بكثير من ثقافته الدنيوية لليونانيين الأقدمين، إذ نجد المصطلحات الدالة على (الملاعب والمدارس والتاريخ وعلوم الطبيعة والتشريح والصحة والشعر والموسيقى والفلسفة وعلم الأخلاق وحب الإنسانية) في هذه الثقافة التي انتقلت إلى حضارات أخرى عبر التاريخ.

من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم المجتمع اليوناني ورفقه هو ما امتازت به بلاد اليونان من جو لطيف قليل التغير يبعث النشاط في الإنسان ويساعده على التفكير والإبداع والتصور. ولقد كان حب اليونان للرياضة البدنية سببا في جعلهم قوما صحيحي الأجسام معتدلي القوام، وساعدتهم هذه الصحة الجسمية على ان يكونوا ذوي عقول راجحة وتفكير سليم، ولقد أدت كثرة الخلجان على الشواطئ اليونانية، وانتشار الجزر بالقرب من هذه الشواطئ إلى إيجاد عدد كبير من المرافئ والموانئ مما شجع الملاحة والتجارة عن طريق البحر، من هذا المنطلق اختلطت اليونان بحضارات الشرق كالحضارة الفينيقية والبابلية والمصرية القديمة وغيرها الأمر الذي كان له أثر كبير في توسيع آفاقهم ونضوج تفكيرهم، والمتصفح لتاريخ اليونان القديم يجد ثلاث نظم للتربية تكونت نتيجة للتطور الحاصل في المراحل التاريخية المتعاقبة، وكانت كل مرحلة تمتاز بخصائصها الواضحة والمتميزة عن غيرها من المراحل وهذه المراحل هي:-

- 1 - مرحلة التربية الهومرية: أو التربية بلاد اليونان قبل كتابة تاريخها والتي امتدت إلى حوالي عام (776 ق . م).
- 2 - مرحلة التربية اليونانية القديمة: يتميز فيها نظامان تربويان هما التربية الإيسارطية والتربية الأثينية المبكرة.
- 3 - مرحلة التربية اليونانية الحديثة التي بدأت بعصر بركليز الذي يعد مرحلة انتقال بين القديم والحديث في نواحي الحياة اليونانية القديمة كالتربية والدين والقيم الأخلاقية وغيرها ، ثم تأتي بعد عصر بركليز الفترة الممتدة من استيلاء المقدونيين على أثينا في أواخر القرن الرابع ق . م حتى خضوع اليونان للإمبراطورية الرومانية، ولما كانت إيسارطة وأثينا من الدولة البارزة بن دول اليونان القديمة، وامتازت كل منها بنظام تربوي له خصائصه وأهدافه ووسائله المتميزة بسبب اختلاف العوامل الثقافية والسياسية التي تقف وراء ذلك، وعليه وجب إن نقوم بتوضيح طبيعة النظام التربوي في كلتا الدولتين.

#### **أولاً: نظام التربية في إيسارطة :**

تتمثل التربية الإيسارطية التربية اليونانية القديمة في أوضح صورها ومظاهرها، إذ لم يطرأ على هذه التربية أي تغيير أو تعديل من الناحيتين العلمية والتطبيقية إلا في حالات

استثنائية نادرة حدثت عند انهيار دولة إسبارطة، هناك عوامل كان لها أثر كبير في طبيعة تكوين النظام التربوي في إسبارطة وهي:

1 - الموقع الجغرافي: تقع إسبارطة في منطقة جبلية وعرة، والمعيشة في مثل هذه البيئة تتطلب قوة الجسم والقدرة على الاحتمال.

2 - النظام الاجتماعي الإسبارطي: كان المجتمع الإسبارطي يتألف من ثلاث طبقات هي طبقة السادة، والطبقة الوسطى وطبقة العبيد، وقد حكم السادة الإسبارطيون وسخروا أفراد كل من الطبقتين (الوسطى والعبيد) في خدمتهم والقيام بجميع الأعمال اليدوية والشاقة في الدولة، مما أدى إلى سحق هاتين الطبقتين وإيجاد حالة من عدم الاستقرار داخل البلاد.

3 - العلاقات السياسية الخارجية للمجتمع الإسبارطي: لقد فرضت إسبارطة سلطتها على العشائر القريبة منها وفرضت عليها الضرائب مما أدى إلى كثرة الاضطرابات والثورات الداخلية والخارجية التي كان على السادة إخمادها والسيطرة عليها، هدفت التربية الإسبارطية إلى إعداد المواطن المحارب وبذلك ينبغي تزويد كل مواطن بقدر كاف من الكمال الجسماني والشجاعة والتحلي بعادات الطاقة العمياء للقانون وتحقيق المثل العليا للحياة الحربية تبدأ التربية الإسبارطية منذ مولد الطفل، فالدولة هي المسيطرة على التعليم بمراحله المختلفة.

كان الطفل المولود حديثاً يعرض على شيوخ الدولة لاختيار صلاحيته للحياة أو عدمها وذلك بعد إجراء عدد من التجارب والفحوص لاختبار قوة احتماله، فمن تثبت ضعفه كان يلقي على قمة احد الجبال عارياً حتى يموت أو ينقذه أحد العبيد ليربيه ويدربه على إحدى الحرف ليكون عبداً مثلهم، ومن تثبت صلاحيته للحياة يعاد إلى أمه لإرضاعه وتربيته حتى السابعة من العمر وفق نظام نصحت به الدولة في تنشئة الطفل، يتمثل بعدم تقييد نموه وان تقسو عليه في معاملته وإلا تستجيب لمطالبه وان تتركه في الظلام حتى يتعود على تحمل المشاق وتنمو في نفسه الشجاعة، فضلاً عن تَعَوُّده على تحمل الجوع والألم بدون شكوى، وحينما يمر بمرحل الطفولة المبكرة كان والده يصحبه معه إلى مجتمع الرجال حتى يلاحظ طرق الحياة ويتعرف على بعض المثل الأخلاقية الضرورية.

كان الغرض من هذه العملية هو المحافظة على مستوى الصحة الجسمية للأفراد الإسبارطيين حتى لا ينشئ بينهم ضعيف أو ذو عاهة فلا يفيد الدولة بشيء.

في سن السابعة كان الآباء يقومون بإرسال أبنائهم إلى المعسكر العام حيث يوضعون تحت رعاية وإشراف المشرفين على التربية ويلحق الأولاد بالمدارس الداخلية التي هي أشبه بالثكنات العسكرية، وكانوا يقسمون إلى مجموعات تتألف كل مجموعة من (64 طفلاً) يدبر شؤونها رئيس يختار عادة من بين الأولاد المتقدمين بالسن وينبغي أن يكون شجاعاً وحسن التصرف وتقوم الدولة بتحديد ألعابهم وتمارينهم البدنية، كما يتناولون طعامهم وينامون سوياً، وكان الغرض من هذه التربية الجماعية غرس مشاعر المساواة والصحية وروح الألفة بينهم، وبعد سن الثانية عشرة ينقل الأولاد إلى نوع من التدريب العسكري العنيف الذي يستمر لمدة عامين تحت الإشراف المباشر للجيش الإسبرطي، ويحظى البارزون والمتفوقون منهم بتقدير الكبار ويصبحون رفقاء محبين لهم ..

على الرغم من تلك التربية الحازمة إلا أنها طبعتهم بخصال أخرى كانت سببا في فشلهم فيما بعد، فقد عرف عن الإسبارطيين أنهم لم يتعودوا على الاعتماد على النفس أو توجيهها، كما إن قدرتهم على التفكير أو التخيل كانت محدودة، وإنهم لم يتعودوا على مواجهة المشكلات ومحاولة حلها بتعقل، لأن الدولة وجهتهم في كل شيء ورسمت لهم طريق الحياة ولم يكن عليهم إلا الانصياع للأوامر، وقد أثر هذا التعقيد المفروض من الدولة على النواحي العقلية للإسبارطيين فلم يتركوا تراثا فكريا يذكر، ولم تكن هناك حرية رأي ولم يتيسر لهم بسبب ذلك وضع النظريات أو رسم الخطط، فالطبقة الحاكمة هي المسيرة للأمور الحياتية، وما على المواطنين إلا اتباع إرشادات الدولة وتعليماتها بكل دقة وولاء.

ويبدو فشل النظام التربوي الإسبارطي واضحا في الانحلال الخلقي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الإسبارطي بعد الهزيمة في الحروب، وحتى الشجاعة في الحروب التي ميزتهم كمجتمع أيام مجدهم، فإنها ضعفت وأصبح البعض منهم لا يخجل في إظهار الجبن أو الفرار من المعارك.

إن تقييد الحريات لاسيما الفكرية منها يؤدي إلى الفشل التام لأي نظام حكم مهما أوتي من قوة، لأن القدرة على التفكير تساعد الإنسان على إيجاد وسائل وسبل أخرى لتحقيق أهدافه، وهذه القدرة من أهم مقومات الإنسانية وهي التي تساعد على إمكانية التكيف للأوضاع والظروف البيئية المتغيرة والجديدة.

ويبدو واضحا إن للتربية دورا كبيرا ورئيسا في بناء نوع من المجتمع وفقاً لما يريده قادته، وهذا يعني أن الاقتصاد على جانب واحد بحد ذاته غير ناجح وإن كتب له النجاح فيكون لفترة قصيرة ثم يهوي، وعليه لابد من اعتبار التربية عملية تنموية متطورة تشمل نواحي الحياة المختلفة ولا تقتصر على جانب واحد منها دون أخرى.

ولم يعن الإسبارطيون بالقراءة والكتابة والحساب التي هي أول مستلزمات التعليم وكان البعض منهم يتعلمونها على أيدي مدرسين خصوصيين، وفي سن الثامنة عشر يلتحق الشاب الإسبارطي بفرقة الأفبي Ephebi أو الطالب الحربي إذ يتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ودراسة عميقة في الأسلحة الحربية والعمليات العسكرية واستخدام السلاح وكانت تختبر قوة احتمالهم كل أسبوعين تقريبا باختبار لا يخلو كثيرا من القسوة، وحينما يبلغ المواطنون سن العشرين يلتحقون بالجيش إذ يتدربون على تحمل الصعاب ويؤدون يمين الولاء للدولة ثم يرسلون إلى وحدات الجيش على الحدود حتى يقضون عشر سنوات كجنود نظاميين يقومون بمهامهم العسكرية عند نشوب الحرب.

يتمتع المواطن الإسبارطي حين بلوغه الثلاثون من عمره بجميع الحقوق والامتيازات المدنية ويصبح عضوا من أعضاء الجمعية العامة، ويجبر على الزواج لصالح الدولة، ويستمر في سكن الثكنات العسكرية، ويكون على أهبة الاستعداد للاشتراك في كل الحروب الدفاعية والهجومية التي تتعرض لها البلاد.

#### - تربية البنات :

تشبه تربية الفتيات تربية الأولاد إلا إنهن لا يقمن بالمعسكرات أو الثكنات العامة، بل كن يبقين مع أمهاتهن في المنازل ويتلقين تدريبا على الألعاب المختلفة في ملاعب خاصة بهن،

ويجبرن على المشاركة في المباريات التي تتسم بالسرعة والقوة، كالمصارعة والجري والسباحة ورمي القرص والرمح إضافة إلى تعلمهن أنواعا مختلفة من الرقصات الدينية، وقد تمتعت المرأة الإسبارطية بقسط كبير من الحرية، إذ سمح لها بالاشتراك مع الرجل في السباقات الرياضية والاختلاط مع الرجال ومشاهدتهم عند تأديتهم التمارين الرياضية المختلفة، أما الغرض من تربية الفتيات فهو لاعتقادهم إن الفتاة القوية الجسم تنجب أطفالا مثلها أقوياء لكي يصبحوا جنودا شجعانا يدافعوا عن إسبارطة ويحموها من هجمات الأعداء وكان من نتيجة هذا النظام، انه أنتج نساء من نوع خاص في عالم التربية، فقد اتسمت المرأة الإسبارطية بالشجاعة وفي حث ابنها ودفعه للقتال والموت من أجل وطنه، وقيل إنهن من العوامل التي ساعدت على غلبة الإسبارطيين في الحروب وذلك بتشجيعهن للرجال، ويقال إن المرأة الإسبارطية كانت توصي ابنها الذاهب إلى ساحة القتال بان يستमित في الدفاع عن وطنه قائلة له « عد حاملا - درعك أو محمولا عليه»، ولم يسمح لها بإظهار مشاعر الحزن والخوف أو الضعف عندما تفقد ابنها أو زوجها في الحروب، وبذلك فقد حظيت المرأة الإسبارطية باحترام الأسبارطيين وتقديرهم وهي في نظرهم لا تقل أهمية عن الرجل، وكما كان المحارب المثل الأعلى للرجال كانت أم المحارب المثل الأعلى للنساء.

لم تكلف المرأة الإسبرطية بالأعمال المناعية بطبقة العبيد، وإنما اقتصرت مهمتها على تربية أولادها منذ الصغر للدفاع عن بلادهم والتضحية في سبيلها.

لقد نجحت التربية الإسبرطية في تكوين أفراد امتازوا بالطاعة والولاء للدولة والتواضع لها، كما امتازوا بالقوة والصحة والشجاعة والصبر والقدرة على الاحتمال دون تذمر .

## ثانياً/ نظام التربية في أثينا :

من سمات التربية الأثينية هي تقديرها العلم والبحث في عالم الإنسان وعالم ما وراء الطبيعة والبحث عن حقائق الأشياء وتحكم العقل في مظاهر الحياة وتوجيه العناية إلى الجسد والروح وتذوق الكلام واعطاء الخطابة والرياضة والموسيقى والنحو والشعر أهمية خاصة والمحافظة على نظام الأسرة.

هدفت التربية الأثينية إلى إعداد المواطن الأثيني من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية بحيث يتمكن من الدفاع عن وطنه والذود عنه ويسهم بشكل فعال في إسهام ثقافة وطنه، لقد برزت في التربية الأثينية اتجاهات ثلاثة ميزتها عن غيرها من المجتمعات هي:

1 - جعل مصلحة الدولة فوق كل شيء.

٢ - التربية المتناسقة التي تشمل على تربية المواطن من كافة النواحي.

٣ - التأكيد على الفصل التام للتربية الحرة عن التربية المهنية.

تبدأ التربية الأثينية من الأسرة حيث يعهد إليها بتربية الطفل حتى يبلغ السابعة من عمره فيتم إرساله إلى المدرسة ويبقى فيها حتى الخامسة عشر أو السادسة عشر من عمره وكان يرافق التلميذ خادم يدعى (بيداجوج) في ذهابه إلى المدرسة وإيابه لمراقبته والإشراف على تربيته الخلقية والجسمية وعاداته في الحديث ومعاملة الآخرين والمشى في الطريق، كما أوكلت إليه مهمة تقويم أخلاقه ومعاقبته عند إخلاله بأداب اللياقة، وعندما يبلغ الشاب الأثيني

سن الخامسة أو السادسة عشر يكون قد تم دراسته الابتدائية التي تستمر لثمان سنوات أو تسع وفي هذه المرحلة تنتهي دراسته للأدب والموسيقى ويبدأ بالتدريب على الألعاب الرياضية ويكون تدريبه تحت إشراف موظف من الحكومة مكلف بهذه المهمة، تكون دراسة الشاب الأثيني حتى يبلغ الثامنة عشر بعد ذلك ينخرط في سلك الجندية حيث يتدرب على فنون الحرب والحياة العسكرية لكي يعد جندياً مؤهلاً للدفاع عن أثينا إذا اقتضت الضرورة ذلك ويستمر في الخدمة لمدة سنتين، عندما ينهي المواطن الأثيني سنتي الخدمة في الجيش يتقدم إلى الجمعية العامة ويتسلم من الدولة رمحاً ودرعاً ويصبح مواطناً حراً بعد أن يقسم يمين الولاء لأثينا.

**أما بالنسبة لتربية البنات** فقد كان نصيب الفتاة الأثينية من التربية معدوماً واقتصرت تعليمها على القيام بالواجبات الاعتيادية التي ينبغي أن تقوم بها كل ربة بيت كاعمال الغزل والحياكة والاهتمام بالمظهر والجمال ولم يكن يسمح لها الخروج من بيتها الا في بعض المناسبات الدينية.

لقد اهتمت أثينا بتربية الأفراد تربية اتسمت بالموازنة والتناسق فالى جانب عنايتها بالجانب الجسمي اهتمت بالنواحي العقلية والخلاقية لذلك اعتبرها المهتمون بالشؤون التربوية منبعاً للعلم والمعرفة للذين كانا سبباً في حدوث النهضة الغربية الحديثة.

#### - رواد الفكر التربوي في اثينا :

تطور التربية الأثينية نتيجة للتغيرات التي حصلت في المجتمع الاثني فقد طرأت تغيرات على التربية منها زيادة حرية الأفراد الفكرية والعلمية ومن رواد هذا التغيير هم:

##### 1 - السفسطائيون :

هم جماعة من المعلمين غير النظاميين المتجولين، انتشروا في القرن الخامس ق.م، في بلاد اليونان، كانوا يعلمون مهارة الحديث والدفاع عن الحق والباطل لأنهم يعتقدون أن الحقيقة نسبية وان الإنسان هو (مقياس كل شيء)، كانت لهم طريقة خاصة في تعليم الشباب المتحمس للثورة على التقدم ومهاجمة النظم التقليدية البالية من وجهة نظرهم، الأمر الذي اغضب المحافظين وكبار السن وحبب إليهم الشباب لما لمسوه في آراءهم من حرية وانطلاق وديمقراطية على خلاف ارسقراطية المحافظين.

##### 2- أفلاطون 429 – 347 ق.م

اشتهر في حقل الفلسفة والتربية، وألف كتابا تربويا مشهورا هو ((جمهورية أفلاطون)) ضمنه جميع آرائه وأفكاره، إن دراسته لحالة المجتمع وتفسيره للنفس البشرية وللأوضاع القائمة آنذاك مكنته من وضع نظام تربوي متكامل إلا إن تحقيقه ليس بالأمر السهل، فقد نادى بالمدينة الفاضلة والمجتمع الفاضل، وهذه أحلام يصعب تحقيقها.

يقول روسو في وصف جمهورية أفلاطون ((إنها أجمل ما كتب في ميدان التربية))، **وأهم آرائه التربوية هي،** التربية المثلى التي تتفق مع مواهب الأفراد الطبيعية، وأكد على رغبات الأطفال وميولهم، يجب أن تكون التربية في مراحلها الأولى اقرب من التسلية منها إلى الجد، وبهذه الطريقة تكتشف ميول الأطفال الطبيعية إعطاء تعليم واحد لجميع أبناء الشعب في المرحلة الأولى ( 7 – 18 سنة)، إن نجاح وظائف المجتمع تتوقف على شعور كل فرد

بالسعادة في عمله، ولن يتحقق هذا إلا بإتقان العمل، هو صاحب النظرية التدريجية في التعليم والتدرج من البسيط إلى المعقد، وأن الرجال والنساء متساوون في القدرات العقلية، فيجب أن تكون تربية البنات مماثلة لتربية البنين، قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات هي طبقة الفلاحين والصناع، وطبقة المحاربين وطبقة الحكام ووضع لكل منهم تربية خاصة غير أنه لم يقدّم بهذه الطبقات حواجز، فإذا ما تفوق طفل من طبقة أدنى فعليه أن يوضع بطبقة أعلى وبالعكس إذا ما تدنى طفل من طبقة عليا، فعليه أن يكون مع الطبقة السفلى.

### 3- أرسطو 384 - 322 ق.م

مارس التربية لثلاث سنوات حيث كان مربيا للإسكندر الأول، تتلمذ على يد أفلاطون لمدة عشرين عاما وهو المعلم الأول، يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كثير من الآراء التربوية، إذ ينظر كلاهما إلى التربية على إنها من مهام الدولة، لذا فلم يعجبهما عدم وجود نظام التربوي عام موحد في أثينا وطالبا بثورة شاملة في طرائق تربية الأجيال الصاعدة في أثينا، **أهم آرائه التربوية** اهتم بتربية العقل بجانب تنمية الجسم، وقال إن تربية الرجل الحر تركز على عاملين أولهما جسم سليم، وثانيهما عادات جديدة فعن طريق تكوين العادات تنقش قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار.

كان يؤكد على وجوب اعتماد التربية على نمو صحي سليم للمتعلم «غذاء مناسب، تمرينات رياضية» شرطان أساسيان مع إقراره بأن نمو الفرد سيتحدد إلى حد كبير بالعوامل الوراثية والنفسية، كما أكد على أهمية البيئة في تكوين عادات الصغار خاصة في السنوات الأولى من حياتهم فرأى إبعادهم عن الخدم والعبيد، حتى لا يتعرضوا لرؤية أفعال غير مستحسنة أو سماع ألفاظ مشينة، واعترف بأهمية الأسرة ومشاركتها المسؤولية في تربية الأطفال. ويجب أن تخدم التربية النظام السياسي القائم، كانت نظريته إلى التربية هي إعداد الفرد إلى الحرب والسلم، أكد على أهمية حالة الأم الصحية والنفسية أثناء فترة الحمل على تكوين الطفل، إذ يعد هذا الاتجاه من أحدث الاتجاهات التربوية.

عد أول من تكلم عن مبدأ التعليم عن طريق العمل والخبرة الشخصية، كما كان أيضا أول من تكلم عن ترابط الأفكار وتداعي المعاني، فذكر إن الترابط بين الأفكار يجب أن يتم تحت ظروف ثلاثة هي (الاقتران) و(التشابه) و(الاختلاف التضاد)، وقد اتخذ علماء النفس والمربون آراء أرسطو في الترابط وزادوا عليها وبنوا على ذلك نظريات جديدة.

### 4- سقراط 469 - 399 ق.م

ولد في أثينا، يعد من الفلاسفة الذين حولوا مجرى البحث إلى الإنسان وما اشتمل عليه من القوى الباطنة والظاهرة التي تتصرف في شؤون حياته وتسلك به المسالك المختلفة، **وهو أسبق من رأي** إن أهم دور للتربية هو الدور الاجتماعي، وكان يعتقد إن إصلاح المجتمع لا يكون إلا بإصلاح الأفراد، وإن المجتمع لا يكون صالحا إلا إذا كان هدفه الخير المطلق الذي يتخذه الأفراد هاديا لهم في تصرفاتهم، ومن آراء سقراط القيمة اهتمامه بمعرفة النفس وفهمها وفكرته هذه تتمثل في قوله المشهور (اعرف نفسك).

رأى سقراط الحاجة إلى تربية إنسانية متجهة إلى الجوهر الروحي للإنسان وذلك بوجوب إن تكون المعرفة مستقلة، أي إن عقل الإنسان يجب إن يبحث عن الاستقلال بحرية كاملة، فلا قيمة للأفكار أو العقائد من حيث أنها قديمة أو حديثة، ولكن قيمتها تأتي من حيث أنها تعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الأشياء.

كان يعتقد إن الإدراك الحسي هو أساس المعلومات جميعاً، وذلك لان الإدراك يختلف باختلاف الأفراد، فنحن لا نعرف عن الحقيقة إلا من خلال الصور التي تقدمها لنا الحواس وعن طريق العقل يعرف الإنسان العلم والفضيلة فهو خير وسيلة للمعرفة، مفهوم التربية في نظره مفهوم خلقي تهيبي أو انه مفهوم عقلي ولعل أفضل ما أسهم به في الناحية التربوية هو طريقته في التدريس وفي البحث عن المعرفة، فالطريقة السقراطية كما عرفت في أيامه هي طريقة المناقشة والمجادلة والسؤال والجواب أو منهج توليد الأفكار.

#### - التربية في العصور الوسطى (التربية المسيحية)

تميزت هذه الفترة بظهور الدين المسيحي وقد أثرت ولادة سيدنا عيسى (عليه السلام) على المجتمع الروماني تأثيراً كبيراً، إذ كان لها الأثر كبير على نقل السلطة الرومانية من المستوى المدني الديوي إلى المستوى الروحي، وكان هدف الدين المسيحي ي تخليص المجتمع والعالم بأكمله من النظام الوثني الفاسد، حذرت الكنيسة من أن عملية الإصلاح لا تتم في الأمة إلا من خلال تغيير الأفراد أنفسهم، وبهذا اصطبغت التربية المسيحية بالصبغة الدينية الصرفة، إذ بدأت من الأسرة ثم الكنيسة وبقي الحال كذلك إلى أن أضيفت تربية دينوية وحيدة وهي الفروسية، وذلك في عصر الاقطاع الزراعي على يد بعض الأباطرة والملوك الأقوياء ، ولم يسمح للمسيحيين بإنشاء مدارس إلا بعد أن ظهر رجال أقوياء منهم، أثروا على أباطرة الرومان وقاموا بإنشاء مدارس خاصة بهم إلى جانب المدارس الرومانية الوثنية، وبالتدرج انتقلت سلطة المدارس الرومانية للكنيسة، اذ تميزت بنظام رهباني صارم، يشتمل على قدر من العلم والعمل اليدوي، وكانت تتبع كل دير تقريباً مدرسة تقبل الأطفال في سن العاشرة؛ وتستمر الدراسة فيها ثمان سنوات، يتعلم التلاميذ اثناءها القراءة والكتابة وبعض المبادئ في النحو والمنطق والبالغة والحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

#### ما لبثت التربية المسيحية أن واجهت خطوتين تطويريتين هما :

الخطوة الأولى: حركة إحياء العلوم الأولى احياءها الملك شارلمان وملوك آخريين جاءوا من بعده، واعتبرت هذه الحركة أن التعليم هو : (الوسيلة الوحيدة لتوحيد الشعب وتحسين أحواله)، ومن أجل ذلك عقدت صلة قوية بين المعرفة الدينية الروحية والتعليم الحر.

الخطوة الثانية: فهي الحركة الكلامية المدرسية التي أعلنت من شأن المنطق الأرسطي، واعترفت بإمكانية التوفيق بين الدين والعلم وان جرى خلاف في تقدم إحداها على الآخر.

- أهداف التربية المسيحية :

- يمكن إجمال أهداف التربية المسيحية في العصور الوسطى بالآتي
- 1- إعداد الفرد المسيحي لمعرفة الرب .
- 2- تدعيم المثل الإنسانية .
- 3- تطهير الروح وتهذيب الأخلاق الرومانية.
- 4- إصلاح المجتمع من فساد الثقافة اليونانية .
- 5- تحقيق النموذج الإنساني للفرد المسيحي.

- التربية قبل الإسلام (العصر الجاهلي) :

امتازت التربية في هذه المرحلة ببساطتها وكان هدفها الأساس والمنشود (إعداد جيل قادر مؤهل للحصول على ضرورات الحياة وحفظها)، وبحكم البيئة الصحراوية لشبه الجزيرة العربية ساد ذلك النوع من التربية القائم على التقليد والمحاكاة والتدريب على القيام بأعمال الكبار بغية تمكين الفرد من كسب العيش والمحافظة على حياته بالدفاع عن نفسه وعائلته وقبيلته ضد أعدائه من بني جنسه وضد الوحوش الضارية.

احتلت الأسرة البدوية دوراً كبيراً في عملية التربية واعتبرت من أهم الوسائل في ذلك العصر إضافة إلى دور العشيرة الواضح في هذه المهمة والتي يمكن اعتبارها صورة مكبرة للأسرة، وتقوم العشيرة والأسرة بتدريب أطفالها منذ نعومة أظفارهم على بعض الفنون والصناعات الضرورية لهم كرمي الرماح والسهام واعداد أدوات الحرب ولم يكن لدى عرب البادية معاهد ومؤسسات مخصصة للتعليم بل كانت المؤسسات العامة والمجالس والأسواق والبيوت هي الأماكن التي يحصل بها الناس على بعض العلوم والمعارف كالتنجيم والفلك والطب.

أما التربية عند الحضر فقد امتازت بكونها منظمة تنظيماً يتفق والمستوى العمري للطلبة اذ يدرس الأطفال في المرحلة الأولى بعض المواد الدراسية المحددة كالهجاء والمطالعة والحساب واللغة العربية، وهي أشبه بمرحلة التعليم الابتدائي وفي المرحلة الثانية التي تشبه التعليم العالي حالياً كان الطلبة يدرسون علوماً تتناسب ومستوى قدراتهم العقلية واستعداداتهم وقابليتهم كالهندسة العملية وعلم الفلك والطب وفن العمارة.

أما طريقة التدريس فقد اتخذت طابع التدريس الفردي، اذ كان المعلم يخصص جزءاً من وقته لكل تلميذ.

- التربية الإسلامية :

بعد أن كانت التربية قبل الإسلام مقتصرة على نوع من التعليم المحدود نوعاً ما، جاء الإسلام بتربية جديدة فحرص على العلم والتعلم فأول آية نزلت على نبيينا محمد (صل الله عليه واله وسلم) تضمنت أمراً بالقراءة في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وتضمنت آية أخرى حديثاً عن القلم أداة الكتابة والعلم والتعلم كما في قوله (الذي علم بالقلم)، وآية أخرى

تحت المؤمنين على طلب العلم كما في قوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)، وقال تعالى (وقل ربي زدني علماً) وقال رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)، وهذا يعني أن على المسلمين الاهتمام بهذا الأمر والعمل على نشره في أرجاء المعمورة.

وكان للتربية الإسلامية خلفية جسدية تهتم بأخلاق الفرد وتنمية قواه الجسدية وخلق المحارب وبث روح الفضيلة وغرس الصفات النبيلة عنده كالإخلاص والوفاء وكرم الضيافة. إن جوهر التربية الإسلامية نابع من الفلسفة الدينية الإسلامية وهي أن الإسلام ليس مجرد شريعة ودين وإنما هو فلسفة كاملة وطريقة حياة شاملة تدعو العقول للعلم والتفكير، أما بالنسبة للمدارس في العصر الإسلامي فأنها لم تكن موجودة بالمفهوم الحديث، فقد كان التعليم يتم في المساجد والكتاتيب وحوانيت الوراقين.

إن اتهم التربية الإسلامية المتوازن بالدنيا والآخرة انعكس على اهتمامها بتربية الإنسان، إذ اهتمت بجوانب الشخصية المختلفة اهتماماً متوازناً فجمعت بين تهذيب النفس وتنقية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، ومن ثم اهتمت بتدريس جميع أنواع العلوم، وهدفها في ذلك تعميق الإيمان بالله تعالى في نفوس المسلمين من خلال فهمهم لقوانين الكون ونظامه المحكم الذي يدل على عظمة الخالق عز وجل وقدرته، وهكذا كان للتربية الإسلامية مكانة واضحة وملحوظة في هذا الإطار الحضاري وكان لها أصولها التي جاءت من العصور الجاهلية القديمة وتبلورت بالإسلام الذي رفعها إلى التقدم والانتشار.

#### أهداف التربية الإسلامية:

للتربية الإسلامية مجموعة من الأهداف التي تعتبر من أبرز سمات التربية الإسلامية وهي كالآتي:-

- 1- أهداف دينية: تتمثل في إعداد الإنسان المؤمن بالله العابد له العامل بأوامره ونواهيه.
- 2- أهداف روحية: تتمثل في تدعيم القيم الروحية في الإنسان والمجتمع.
- 3- أهداف أخلاقية: تتمثل في إعداد الإنسان على خلق عظيم وتدعيم القيم الأخلاقية.
- 4- أهداف معرفية: تتمثل في تنمية وترقية القوى العقلية مثل التفكير والتذكر.
- 5- أهداف اجتماعية: تتمثل في بناء المجتمع المسلم على أساس التعاون والتكافل الاجتماعي وتدعيم القيم الاجتماعية.
- 6- أهداف جهادية: تتمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإعداد الإنسان جسدياً وعسكرياً.
- 7- أهداف جسمية: تتمثل في النظافة والطهارة الجسدية.

#### أطوار التربية الإسلامية:

لقد مرت التربية الإسلامية بأربعة أطوار هي كالآتي:-

- الطور الأول: يتمثل في نمو الإسلام في عهد الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم).
- الطور الثاني: يتمثل في عصر الفتوحات الإسلامية.
- الطور الثالث: يتمثل في تكوين الحضارة العربية وامتزاج الثقافات مع امتداد الدولة الإسلامية في العهد العباسي حتى ظهور السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي.

الطور الرابع: بدأ مع الأتراك السلاجقة وحتى سقوط بغداد على يد المغول في القرن الثالث عشر الميلادي.

### الملاح العامة للتربية الإسلامية:

قبل الحديث عن الملاح العامة للتربية العربية الإسلامية، لابد من الإشارة إلى إن التربية الخليفة هي الأساس الذي استندت إليه برامج التعليم الإسلامي وقد اجمع الفلاسفة على «إن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، فالغرض الأول والاسمى من التربية الإسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح بطرق متعددة، تتفق كلها وعلم النفس الحدث».

ومن أهم الملاح الآتي:

1- أكدت التربية الإسلامية على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، فلم تكن المعاهد والمؤسسات التربوية وقفا على جماعة دون أخرى، بل كانت فرص التعليم «مكفولة للغني والفقير على حد سواء، وإن الفقر لم يقف عائقا أمام الراغب في العلم أو الساعي لارتشاف المعرفة»، وكانت أبواب المدارس مفتوحة للناس جميعا، كما وجهت عناية خاصة للطلبة الموهوبين.

2- اتسمت التربية العربية الإسلامية بكونها تربية شاملة تتفق ونظرة الإسلام الشمولية إلى الإنسان «فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية، دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر».

3- تمتع المعلم بحرية كافية في اختيار التدريس وطرائقه ومنح التلميذ حرية الاختيار، للمدرس الذي سيتولى تعليمه، ولم تكن هناك مناهج معينة مفروضة على المعلم أو الطالب.

4- التأكيد على ما بين الطلبة من فروق فردية، واخذ هذه الفرق بنظر الاعتبار وضرورة مراعاتها عند التدريس.

5- الاهتمام بميول الأطفال والمتعلمين واستعداداتهم وقابلياتهم للتعليم.

6- ساهم العديد من المسلمون ببناء المدارس والمعاهد وتزويدها بما لديهم من الكتب والمخطوطات النادرة.

7- استخدام المسلمون نظام الحوافر والضوابط في التعليم، فكانت تستخدم الجوائز والمكافآت للمتفوقين، فضلا عن استخدام العقوبات الأدبية كالعتاب والتوبيخ، والمادية كالضرب والسجن.

8- منحت المرأة حقها بالتعليم أسوة بأخيها الرجل.

9- بث فكرة العلم للعلم، وليس من أجل الكسب أو الإثراء المادي، إذ كان المعلمون الأوائل في صدر الإسلام يقومون بهذه المهمة من أجل الثوابت من الله تعالى.

10- أن التربية العربية الإسلامية تربية عملية، يمارس فيها المتعلم ما تعلمه.

11- قامت التربية العربية الإسلامية على الانفتاح، فقد احتضن الإسلام جميع العلوم التي ورثها من الحضارات القديمة وعلمها لأبنائه في مؤسساته التربوية.

12- تأثرت التربية العربية الإسلامية بنظم التعليم الأجنبية، وعمل المسلمون على تطوير هذه النظم بما يتفق ومتطلبات المجتمع العربي الإسلامي وحاجاته الواقعية، ولم يأخذوا النظريات التربوية التي وجدوها، ولم ينقلوا مؤسساتها، كما هي.

## أساليب التعليم في التربية الإسلامية

### 1- طريقة التعليم:-

كانت طريقة التعليم تعتمد على التلقين والحفظ ولاسيما في تعليم القرآن الكريم، وكان الحفظ من أهم الشروط في العلم عند المسلمين أي كانت الذاكرة هي المعتمد عليها دون الاعتماد على الكتابة، فكانوا يفخرون بالعلم الذي حوته الصدور لا العلم الذي حوته السطور، فكان علماء المسلمين يرون انه «أول العلم صمت والثاني استماع والثالث تلفظ والرابع عمل والخامس النشر»، وقد أدرك كبار مربي العرب أهمية التدرج في التدرج في التعليم فنرى ابن خلدون يذكر في مقدمته:-

إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا وطريقة التعليم عند المسلمين طريقة فردية محورها الفرد، وفي هذا تلتقي التربية الإسلامية مع التربية الحديثة التي تأخذ بتفريد التعليم.

### 2- طريقة المناظرة :

تميزت طريقة المناظرة بكثرة النقاش والأسئلة بين الطلاب والأساتذة فلا يكاد الأستاذ ينتهي من محاضراته حتى تنهال عليه الأسئلة.

إن طريقة المناظرة كانت من مميزات أساليب التعليم في المراحل العليا، وهي من الطرق التي ركز عليها المربون المسلمون وكان لها لهذه الطريقة أثرها في تقوية الحجة وسرعة التعبير والتفوق الفردي والقدرة على الارتجال وترتيب الأفكار، وتعميق الثقة بالنفس لدى التلاميذ.

### 3- طريقة المحاضرة :

تميزت طريقة المحاضرة في مؤسسات التعليم الإسلامي بعمقها وشمولها للمادة التعليمية، إذ كان المعلم يدون محاضراته ويتكلم بأسلوب المتمكن من مادته ثم يوجه التلاميذ لمناقشة المحاضرة، إذ يشرف تلميذ على قيادة الحوار والمناقشة، فإذا وجدوا معضلة عادوا إلى معلمهم أو مساعديه من المدرسين.

### 4- التطبيقات العملية

عني المربون المسلمون بالتطبيقات في التدريس، إذ كان المربي يعهد إلى تلميذه في مرحلة من مراحل تعليمه بالقيام بالتدريس تحت إشرافه، أو العمل تحت إشرافه فترة زمنية معينة ليكتسب خبرة علمية وتجربة ميدانية في مجال تخصصه، فالإتقان العلمي هو خير مقياس للتعليم، كما أن التطبيق العملي يهيئ المتعلم لتحمل المسؤولية والتفاعل مع مجال تخصصه العلمي.

## مبادئ أساسية في التربية الإسلامية :

### 1- سن التعليم:

فرق المسلمون بين تربية الصغار والكبار ووضعوا وزناً للصلة بين مادة الدراسة وعمر الدارس، إما عن سن التعليم عند الطفل فليست ثابتة وقد ترك الإباء أحراراً في إرسال أبنائهم إلى الكتاب دون فرض، ونرى المشرع يفرض على الطفل في سن السابعة أو قبلها تعلم الصلاة والفضائل الخلقية.

على إن أكثر المربين يدركون إن طلب العلم له فائدته العظيمة في نشاط الجسم وصفاء الذهن إذا كان مبكراً، وعليه فقد اكدوا على أن يكون طالب العلم شاباً غير متزوج، وكان المسلمون يرون طلب العلم واجباً من المهد إلى اللحد كما ورد في الحديث النبوي الشريف ولم تكن سن محددة، وهذا ما يتفق مع الآراء الحديثة التي ترى إن التربية مع الحياة وتنتهي بانتهائها بل وتبدأ قبل الولادة عن طريق العناية بالأم الحامل.

## 2- تكافؤ الفرص التعليمية:

يمكننا أن نفر فرص التعليم كانت متوافرة في المجتمعات الإسلامية للغني والفقير على حد سواء وذلك إذا ادركنا ان التعليم بدأ في المسجد، وعلى ايدي المسلمين الذين يرون تعليم العلم ونشره (فرض عين) عليهم، ومما هو معروف انه لا يمكن منع احد من ارتياد المسجد، فكانت فرص التعليم متوافرة لجميع الاطفال في الحي الواحد.

## 3- إلزامية التعليم:

من الواضح جلياً إن الدين الإسلامي دين ديمقراطي لأنه جاء بالتساوي بين الناس ولم يكن يوماً يفضل أحداً على آخر إلا بالتقوى والعلم والصلاح.

إن مبدأ الديمقراطية والتساوي بين الناس وإلزامية التعليم مبدأ يقره الإسلام بروحه وإن لم ينص عليه بل يدعو إليه، وهذا ما قام به الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) حين افتدى عشرة من الأسرى الكبار بتعليم أطفال المسلمين وأنه أمر بالتعليم احتساباً لوجه الله وقال بهذا الصدد الرسول الكريم (طلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة).

وقد ظل المعلمون والمفتون في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأيام الخلفاء الراشدين والأمويين في خلاف على جواز اخذ الأجرة على التعليم أو عدم جوازه، كما بحثوا طويلاً ومنذ زمن الخليفة أبي بكر (رض) في ذلك التعليم هو مباح أم واجب، وإذا كان واجباً فمن المكلف به.

فقد ورد بهذا الصدد إن القابسي أراد إن يعلم أبناء الشعب جميعاً فقراء وأغنياء لأنه كان يريد إن ينشر الدين ولا يحرم أحداً، وهذا هو نص التعليم الإلزامي الذي أعلنه في القرن العاشر وفي صميم القرون الوسطى الذي كان بها أهل أوربا يعيشون في الجهل.

وقد أكد الكثير من الفقهاء ما نص عليه الإمام القابسي لذلك أوجبوا التعليم للأطفال المسلمين وإن الوالد مكلف بتعليم أولاده فعليه إن يرسلهم إلى الكتاب لتلقي العلم بالأجر فإن عجز تكفل بذلك المحسنون أو بيت المال.

## 4- العقاب :

اهتم المربون المسلمون في جميع عصور التربية بأمر عقوبة الطفل، ويرى البعض انه لا بد من العقوبة على أن تبدأ بالإنذار فالتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف وأباح الآخرون الضرب والعقوبة الجسدية الشديدة إذا تجاوز الطفل حدود المعقول ولم ينفع فيه الإنذار والتوبيخ، على إن الاثنين متفقان إن العقوبة نوعان روعي وبدني، ويرى بعضهم إن الوقاية خيرٌ من العلاج فبذل الجهد لتأديب الطفل وتقويمه منذ الصغر حتى يشب على خصال حميدة

وبذلك تتعدى الحاجة إلى العقاب أما إذا دعت الضرورة إلى العقاب فينبغي مراعاة الحذر فلا يؤخذ الطفل بالعنف أولاً بل اللطف.

لقد أباح الدين الإسلامي العقاب ولكن وضع له حدوداً وقيده بقيود فجاء في القرآن الكريم بقوله تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب »

**لقد أكد الإسلام في الوقت نفسه بالعفو عند المقدرة فجاء في الحديث النبوي الشريف ( إنما يرحم الله من عباده الرحماء )، ولقد وضع المسلمون قواعد للعقاب منها:-**

1- إن العقوبات أبيحت للصبيان الذين تجاوزوا سن العاشرة من أعمارهم، ولم يبلغوا مبلغ الرشد.

2- يستطيع المعلم أن يلجأ للعقوبة عند ضرورة القصوى ويجب إن لا يكثر من استعمالها.

3- إن لا يكون الضرب على الرأس ولا على الوجه، بل يضرب على الفخذين وأسفل الرجلين.

## **5- تعليم المرأة في الإسلام:**

على الرغم من أن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات فقد اختلف المربون المسلمون في مجال تعليم المرأة، وانقسموا إلى فريقين أجاز الفريق الأول تعليم المرأة القرآن والأمور الدينية فقط، وحرمانها من تعلم الكتابة، أما الفريق الثاني، فقد منح المرأة حرية التعلم مستنداً في ذلك إلى الحديث الشريف «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

ومما يذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه حض على تعليم أزواجه الكتابة، ومما يؤكد انتصار رأي الفريق الثاني هو ما بلغته المرأة المسلمة من أقصى درجات العلم والمعرفة في الفترة المحصورة بين بداية الدعوة الإسلامية وبين القرن الرابع الهجري.

لقد حصلت المرأة على تعليمها في البيت أما عن طريق أحد أقاربها المتعلمين أو بمؤدب يدعى لها، ولم تلتحق بالكتابة صبية، ولم تجلس في حلقة الرجال شابة.

ومن أهم العلوم التي حظيت المرأة بنصيب منها (العلوم الدينية والأدب والموسيقى والغناء والطب) وتجدر الإشارة على أن النساء كن مهتمات اهتماماً كبيراً بالدراسات الدينية، بغية معرفة التعاليم الدينية والوقوف على قيم السماء الجديدة، والإلمام بالشرعية وأبوابها، وأسهمت المرأة المسلمة في مجالات عديدة ومتنوعة، فاشتغلت بالسياسة وشؤون العلم.

## **6- المعلمون في الإسلام:**

لقد عني العرب في العصر الإسلامي عناية فائقة بالمعلمين واهتموا بتلقي العلم منهم وكانوا لا يستحسنون أن يتلقى الطالب العلم من الكتب وحدها إذ أدركوا أن التعليم لا يتم إلا بثلاثة الأستاذ، الطالب، الأب، و لم يكن المعلمون في صدر الإسلام خاضعين للدولة، وإنما كان الشخص الذي يجد في نفسه القدرة والكفاية للقيام بمهمة التعليم يجلس في المسجد ويأتيه من يرغب في طلب العلم والدراسة، وكان المعلمون في صدر الإسلام يؤدون أعمالهم تطلعاً للثواب من الله، وقد تمتع هذا المعلم بنوع كافٍ من الحرية في تعليم من يشاء، وقت ما يشاء، ووفق الطريقة التي يختارها، وبأسلوب الذي يرضيه.

وبدأت الحكومات تتدخل في شؤون التعليم والإشراف عليه وتنظيمه وإدارته عندما قامت بتشبيد معاهد تعليمية، فعينت لها معلمين، وصرفت لهم رواتب مناسبة، وذلك في العصر العباسي، اذ عين العديد من العلماء في «بيت الحكمة»، «وزاد إشراف الدولة على التعليم أبان حكم الفاطميين، ووضعت مناهج خاصة بها أشرفت على تنفيذها إشرافاً كاملاً». وأحرى بنا أن نشير إلى أن الدولة العربية الإسلامية عرفت ثلاث طواف من المعلمين هي معلمو الكتاب، والمؤدبون، ومعلمو المساجد والمدارس. واشترطت العرب شروطاً عديدة ينبغي توفرها في الشخص الذي يرغب أن يكون معلماً الاتي:

- 1- أن يكون مهذباً متديناً متحلياً بالأخلاق النبيلة حليماً وقوراً، رفيقاً بطلابه.
- 2- إن لا ينتصب لهذا المنصب الخطير إلا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أساتذته وكبار علماء أو رجال بلده.
- 3- أن يتفرغ للتعليم ولا يشرك بعمله الشريف هذا عملاً آخر، إلا من ينزه نفسه عن اخذ الأموال كمرتب من مهنة التعليم.
- 4- أن يطلع على أسماء طلبته وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم لتقوية الصلات بينه وبينهم.
- 5- وان يراعي المستويات العقلية للطلبة، ويثني على البارع من الطلبة وقت الثناء، ويشجع الطالب المتوسط.
- 6- أن يستعين بالأمثلة والشواهد لإيضاح المسائل وتقريبها إلى ذهن الطالب.
- 7- أن يصون درسه من الغوغاء وسوء الأدب وان يراعي مصلحة طلبته في تعيين ساعات الدروس ومواعيدها.

## 7- التلاميذ:

- يتفق اغلب علماء التربية المسلمين على أن أهم الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الطالب هي:
- 1 - أن ينتخب لنفسه مدرسة بقدر الإمكان.
  - 2 - أن لا يشتغل بالمعاشرات والصحبة، بل يقبل على الدرس، والليبيب من التلاميذ من يجعل المدرسة منزلاً يقضي فيه وطره ثم يرحل عنه.
  - 3 - أن يكرم أهل المدرسة ويبادرهم السلام وإظهار المودة والرحمة والاحترام.
  - 4 - أن يتقدم الى المدرسة وهو على أحسن هيئة، وان يكون حريصاً على النفع العام مواظباً على الإفادة.
  - 5 - ان يحافظ على أثاث المدرسة من التلف والاتساخ.
- وسائل التربية الإسلامية :

تعددت وسائل التربية الإسلامية وأماكن التعليم في الإسلام، ويمكن اعتبار الأسرة من أهم هذه الوسائل، كما لعب المسجد في التاريخ الإسلامي دوراً هاماً في التربية والتعليم، اذ انطلقت منه حلقات العلم سواء لتعليم القراءة أو الكتابة أو تلك المخصصة للعلوم الشرعية فضلاً الى الكتاتيب وحوانيت الوراقين حتى ظهور المدارس، اذ نجد أن للتربية الإسلامية

خصائص تتمثل في كونها تربية (شاملة، متنوعة، سلوكية، مستمرة، واقعية، نفعية، عالمية، ضميرية)، وهنا لابد من الإشارة إلى أن التربية الإسلامية الحقيقية هي التي أرسى جميع أسسها الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه اذ قال فيه (وانك لعلی خلق عظیم) ومن بعده أهل بيته الطيبين الطاهرين الذين قال سبحانه وتعالى فيهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، وكذلك أصحابهم الذين نهلوا من علومهم، وأخلاقهم تمثل أسمى أهداف وغايات التربية الإنسانية الربانية الجامعة لكل ما يصب في خدمة ومصلحة الإنسان ورقيه مذ خلق الله الخليفة وحتى انتهائها إليه.

## - المؤسسات والمعاهد التربوية عند المسلمين :

لقد سبقت الإشارة إلى إن الأسرة مارست مهامها التربوية بشكل مؤثر وفعال، ذلك إن تربية الأطفال أول ما تبدأ في البيت، وما إن يكون بمقدور الطفل التكلم، حتى يقوم والده بتعليمه كلمة (( لا اله إلا الله ))، فإذا بلغ السادسة من عمره ترتب عليه القيام بفرض الصلاة، وبها تبدأ تربيته الرسمية ومن أهم المعاهد التعليمية لدى المسلمين ما يأتي:

### 1 - الكتاب:

الكتاب في اللغة هو المكان الذي يتم فيه تعليم القراءة والكتابة، وقد عُرف الكتاب في بلاد العرب قبل ظهور الإسلام، وإن كانت الكتابات قليلة الانتشار وحينما جاء الإسلام كان ما تؤديه هذه الكتابات مقتصرًا على تعليم القرآن الكريم وفهم نصوصه، فضلاً عن تعلم قصص الأنبياء والمرسلين والأحاديث النبوية الشريفة، وتعليم الأطفال القراءة والكتابة ثم تطور إلى تعليم القواعد الأساسية في الرياضيات وكانت طريقة التدريس قائمة على الحفظ والتلقين وقوة الذاكرة وقد حظيت هذه المؤسسة التربوية بمكانة مرموقة في الحياة الإسلامية وهي بمثابة المدرسة الابتدائية في الوقت الحاضر.

لقد عرف المسلمون نوعين من الكتابات، الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، والكتاب الخاص بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، وكان الاتفاق على محتويات العلم ومقداره، والاتفاق على الأجر المستوفي يتم بين المعلم وولى الأمر، وكان اليوم المدرسي طويلاً تتخلله فترة للغذاء والفعاليات التطبيقية كالصلاة، وكان للمعلم الحرية في تنظيم الدراسة من حيث المدة والمادة، فله الحق في اختيار مادة التدريس وكميتها ونوعها والمصادر التي يعتمد عليها، وظهر من الكتابات بعض المعلمين الموهوبين الذين لمعوا في المجتمع العربي والإسلامي، أمثال الضحاك بن مزاحم، والكميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب.

### 2 - المسجد:

أصبح المسجد المؤسسة التربوية الثانية التي أخذت على عاتقها نشر التربية والتعليم بين المسلمين في عهد النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) والخلفاء الراشدين، وتاريخ التربية العربية الإسلامية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه المؤسسة ففيها قامت حلقات العلم والدراسة، واستمرت لسنين عديدة ولم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط، بل كان محكمة للتقاضي ومكاناً

للدراصة وميدانا لاجتماع الجيش، ودارا لاستقبال السفراء، ففي المسجد النبوي الشريف، والمساجد الأخرى التي شيدت في عهد النبي (صل الله عليه واله وسلم) والخلفاء الراشدين كانت تدرس أمور الدين وتشرح تعاليم الدين الجديد، وقد حذا الخلفاء الآخرون بعد الراشدين حذو من سبقهم في اعتبار المسجد مركزاً فكرياً وثقافياً وتربوياً، على الرغم من إن هدفه كان دينياً، وذلك تقديراً منهم للعلم والمعرفة، وإعطاء التعليم مرتبة ثانية بعد أمور الدين. لم تكن الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد مقتصرة على الدراسات الدينية، بل شملت غيرها من العلوم والمعارف، فالدراسات اللغوية والأدبية كانت تتم في المسجد، فضلاً عن تدريس الطب فيه، وهذا الأمر يبين لنا بان المسجد تولى منذ نشوؤه مهمة نشر العلم، دون الاقتصار على جانب واحد محدد، فهو بمثابة الجامعة الحالية، ومن أشهر المساجد والجوامع التي قامت فيها حلقات العلم، جامع المنصور، وجامع دمشق، وجامع عمر بن العاص.

### 3- المعاهد والمدارس:

انتشرت المعاهد والمدارس في الدولة العربية الإسلامية انتشاراً واسعاً حتى شملت المدن والقرى الصغيرة، فضلاً عن العديد من المدارس الكبرى التي قامت شامخة في بغداد والقاهرة وقرطبة، والتي درس فيها أصناف العلوم والفنون، ومن أشهر هذه المعاهد والمدارس ما يأتي:

(أ) المدرسة النظامية:

يمكن اعتبار المدرسة النظامية أول مجمع علمي حقيقي اهتم بحاجات الطلبة وأصبح فيما بعد نموذجاً لمعاهد التعليم العليا، فالمدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك السلجوقي عام 457هـ (1066 - 1067م)، لم تكن من حيث التنظيم والإدارة والإمكانات أول مدرسة في المجتمع الإسلامي، ولكن أهمية إنشائها تكشف ولأول مرة في تاريخ التربية الإسلامية عن شعور الدولة بحاجتها إلى التدخل في شؤون التعليم، أما أهميتها التربوية فيمكن إجمالها بالآتي: أنها هيأت أماكن الإقامة للطلبة وأجرت لهم أرزاقاً ثابتة كانت مزودة بمكتبات عامرة كان يدفع لشيخوخا رواتب معينة، وقد قام بالتدريس فيها نخبة من العلماء والمشاهير أمثال الإمام الغزالي حيث جلس للتدريس فيها مدة أربع سنوات. اتجهت نحو التخصص العلمي ولاسيما بتعليم الفقه.

### (ب) المدرسة المستنصرية:

بني هذه المدرسة الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد وذلك في عام (1234 م) أي 626هـ، وقد زودت بساعة من نوع المزولة، وجهزت بالحمامات والمطابخ، كما كان فيها مستشفى ودار الكتب، وتعد هذه المدرسة من أجمل المدارس الإسلامية في القرن الثالث عشر، وكان الغرض الرئيس لهذه المدرسة هو تدريس الفقه، ودراسة المذاهب الدينية الأربعة.

### (ج) المدرسة النورية الكبرى:

انشأها نور الدين محمود زكي سنة 563هـ في مدينة دمشق، وضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الإيوان الذي يرادف «قاعة المحاضرات» بالتعبير الحديث، والمسجد، ومسكن للطلبة.

قام نور الدين كذلك بإنشاء المدارس العديدة التي انتشرت في مدن سوريا وقراها الصغيرة وأنشأ الأيوبيون مدارس عديدة في كل من مصر وبيت المقدس ودمشق، وقد أشار ابن جبير في إحصائية عن عدد المدارس في الدولة العربية الإسلامية على إن هناك ما يقرب من ثلاثين مدرسة في بغداد، ونحو عشرين مدرسة في دمشق وفي الموصل ستا أو أكثر، وفي حلب مدرسة واحدة.

#### (د) بيت الحكمة:

أسسه المأمون عام 830م في بغداد، ويعد أول كلية إسلامية للدراسات العليا، وقد كان معهدا للعلم ودار كتب عامة وله مرصد ملحق به، وهناك من يقول بان هارون الرشيد هو الذي أسس بيت الحكمة، وقام المأمون بتوسيعه أيام خلافته، وقد كان يجتمع في هذا البيت زمن المأمون صفوة العلماء والأدباء، ويحج إليه طالبو العلم والمعرفة، وفيه أيضا استنسخت كتب كثيرة وترجمت مؤلفات عديدة من لغات أجنبية إلى اللغة العربية.

#### 4- المكتبات المساهمة:

كانت المكتبات وسيلة القدماء في نشر العلم وقد كانت الكتب نواة الجامعات الإسلامية المبكرة كبيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة وقد عنى الخلفاء المسلمون بالكتب العربية ونشرها بين الناس وإنشاء الخزائن (المكتبات) التي تضم النفائس من الكتب العربية والدفاتر والسجلات، كما عتوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولأولادهم، وكانوا يزودون المساجد في كل إقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم، ولعل أقدم الخزائن هي خزينة الخليفة الأموي الحكيم خالد بن يزيد، كما إن الوليد بن عبد الملك، كان يجمع الكتب ويضمها في خزانة وجعل عليها خازنا اسمه سعد.

وقد انتشرت مكتبات عديدة في عهد الخلفاء العباسيين لكثرة اهتمامهم بالعلم وكتبه، وكان هنالك ثلاث أنواع من المكتبات:

**المكتبات العامة:** منها مكتبات المدارس، إذ قلما تخلو مدرسة من المدارس التي انتشرت في العراق وسوريا ومصر من مكتبة بها.

**مكتبات خاصة:** أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص وقد كانت موجودة بكثرة ومنشرة وكان من الصعب إن تجد عالما أو أدبيا دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته.

**أما المكتبات بين الخاصة والعامة:** هي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك والأمراء فكانت ملحقة بقصورهم، تقديراً للعلم وتظاهراً بأنهم من أهله، كمكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المعتصم بالله. ضمت المكتبات التي تسمى آنذاك بـ «الخزائن» كتباً نفيسة ومخطوطات نادرة في موضوعات الدين والآداب والمنطق والفلك والفلسفة، وغيرها من العلوم الأخرى.

### من أهم هذه المكتبات:

- بيت الحكمة في بغداد.
- دار الحكمة بالقاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي عام 395هـ، وقد حوت بين ثناياها مليوناً وستمائة ألف كتاب في ميادين من العلم مختلفة.
- المكتبة الحيدرية في النجف.
- المكتبة ابن سوار في البصرة، أسسها أحد رجال عضد الدولة.

### 5- حوانيت الوراقين:

نتيجة انتشار الورق واستخدامه في أرجاء البلاد الإسلامية، كثرت الكتب، وأصبحت عملية اقتنائها سهلة للراغبين فيها، وظهرت المكتبات وحوانيت الوراقين، وما يلفت الانتباه، إن هذه الحوانيت والمكتبات ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة، إذ لم يكن غرضها تجارية صرفاً، بل كانت أماكن مناسبة لاجتماع الأدباء ومحبي المعرفة، تثار فيها المناقشات والتي غالباً ما تتحول إلى ندوات علمية تطرح فيه مختلف الآراء حول الموضوع الواحد. انتشرت هذه الحوانيت في العواصم والبلدان المختلفة، ومارس الوراقين مهمة نسخ الكتب المهمة وعرضها للراغبين فيها، ومن أشهر الوراقين الذين امتازوا بالثقافة، ابن النديم صاحب الفهرست، وياقوت الحموي مؤلف معجم الأدباء، ومعجم البلدان.

### 6 - منازل العلماء:

يمكن اعتبار دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية اتخذها الرسول الكريم (ص) مركزاً لتعليم الصحابة الذين آمنوا بالدين الجديد، منذ بزوغ نوره، و تعاليم مبادئ هذا الدين، كما أن الرسول (صل الله عليه وسلم) يجلس بمنزله بمكة ويلتف حول المسلمون ليعلمهم ويوجههم، وقامت بعض منازل العلماء مقام دور المدارس إذ كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم فيها على أيدي أصحابها، ومن أهم هذه المنازل، بيت الشيخ الرئيس ابن سينا ، وبيت الإمام الغزالي، ومنزل أبي سليمان السجستاني.

### 7 - القصور:

اتخذ الخلفاء العظماء قصورهم أماكن لتعليم أبنائهم بإشراف معلمين خاصين يذهبون إلى القصور لتزويد أبناءهم بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لحمل الأعباء التي سينهضون بها، وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وضعه وتخطيطه، وقد أطلق على المعلم الخاص الذي توكل إليه مهمة تعليم أبناء الخلفاء والأمراء والأغنياء اسم (مؤدب)، وغالباً ما كان يخصص له جناح في القصر ليعيش فيه ليكون إشرافه على الأمير احكم واشمل.

### 8 - المجالس الأدبية:

يرتبط تاريخ المجالس الأدبية بتاريخ القصور، وبخاصة قصور الخلفاء، وقد ظهرت في العصر الأموي وانتشرت في العصر العباسي فأصبحت تعقد في أوقات منظمة وما كان يسمح

بدخولها إلا لطبقة معينة من الناس كانوا يحضرون في موعد محدد وينصرفون عند إشارة يشير بها الخليفة.

تنوعت هذه المجالس فأصبحت للأدب والعلوم والفنون ومنها الغناء والموسيقى لتناسب الحياة الثقافية المتنوعة في ذلك الحين، ولكن مجالس العلم والأدب بقيت أرفعها شأنًا وخلاصة القول، فإن هذه القصور والصالونات بما تضمنته من أمور عديدة طرحت للمناقشة وإبداء الرأي من قبل المشاركين في الجلسات، يمكن اعتبارها بمثابة الجامعة في الوقت الحاضر، لأنها شملت مختلف صنوف العلم والمعرفة، وشارك في إدارة هذه الندوات نخبة ممتازة من العلماء والفلاسفة، وتخرج فيها طلبة نالوا سمعة طيبة.

### - رواد الفكر التربوي في الحضارة العربية:

**ابن سينا (370 هـ - 428 م):**

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، اشتهر بكني واللقاب عديدة ومن أبرزها الشيخ الرئيس، ولد ابن سينا عام (370 هـ) في قرية قريبة من بخاري، وهو عربي الثقافة اشتهر كفيلسوف وسياسي وطبيب.

ساهم بشكل واضح في إغناء الحضارة العالمية بما قدمه من علوم متنوعة «شملت الطب والفلسفة والطبيعات والرياضيات والموسيقى والأدب والإلهيات وعلم النفس والتربية». امتاز ابن سينا بذاكرته القوية وقدرته الفائقة على التعلم، فقد حفظ القرآن الكريم وكثيرا من الأدب العربي وهو بعد لم يكمل العاشرة من عمره، كما حفظ كتاب «ما بعد الطبيعة/ لأرسطو عن ظهر قلب، دون إن يفهمه» فلما اشترى كتاب أبي النصر الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة انفتح عليه.

يعد ابن سينا احد تلامذة كتب الفارابي، وخريج فلسفته ومؤلفاته، وتعلم ابن سينا الفلسفة، وتفوق على أستاذه، إذ كان يتصور مسائل المنطق بصورة أفضل منه، كما برز في الطب واشتهر ذكره وقام بمعالجة المرضى وهو آنذاك في السادسة عشر من عمره، ومن الذين عالجهم واشفاهم سلطان بخاري الذي أعجب به - بعد أن عجز غيره من الأطباء عن شفائه - وأذن له بدخول دار كتبه الغنية بالكتب القيمة في اللغة والشعر والفقه، وما إلى ذلك من العلوم الأخرى، فاطلع عليها واستفاد منها وأضاف لمعلوماته أمورا جديدة أخرى.

### **مؤلفاته:**

لابن سينا مؤلفات كثيرة زادت على المائة، كان أولها كتاب «مبحث في القوى النفسانية» أو «هدية الرئيس للأمير» كتبه للأمير نوح بن منصور، أما كتبه الفلسفية الرئيسية فهي ثلاثة «الشفاء، النجاة، الإرشادات والتنبيهات»، وكتابه الرئيس في الطب هو «القانون» الذي يعد موسوعة طبية تتضمن ما وصل إليه العرب والإغريق والهنود والسريريان، وغيرهم، ويقع في (14) مجلد.

## آراؤه التربوية:

لقد سبقت الإشارة إلى أن ابن سينا اشتهر كسياسي، وكلمة (سياسة) تعني عند فلاسفة العرب «تلافي الخلل وإصلاح الفاسد»، وقد كتب ابن سينا رسالة في السياسة تحدث فيها عن التفاوت بين الناس في الصفات والرتب، وكيف ينبغي أن تتم عملية تنشئة الأطفال وتربيتهم، وما يتصل بهذا الجانب من أمور عديدة.

وسأكتفي بذكر بعض السياسات ذات الصلات التربوية التي أشار إليها ابن سينا وبين رأيه فيها بشكل موضوعي وصريح:

1- إن أول ما ينبغي على الإنسان إن يبدأ به هو معرفة نفسه، لأنها اقرب الأشياء إليه، وأكرمها عليه وأولها بعنايته، وعليه أن يتعلم انه له عقلا هو السائس، ونفسا أمارة بالسوء كثيرة المتاعب، ولذا ينبغي عليه إن يصلح جميع هذه العيوب، كما ينبغي عليه إن يتخذ له صديقا وفيما مخلصاً يكون له بمثابة المرأة، يريه أحواله وأفعاله على حقيقتها – حسنة كانت أم سيئة – ذلك إن الإنسان كثيراً ما يغفر لنفسه الأعمال التي يقوم بها، ويبرر فعله لها بما يقنعه.

2- ينبغي على الوالد إن يحسن تسمية ابنه، ولا يختار له اسما غريبا غير مألوف ولا مرغوب في الوسط الاجتماعي، لما لذلك من اثر نفسي على سلوك الطفل، فقد اعتبر ابن سينا هذا الأمر حقا للولد على أبيه.

3- إن تختار للطفل مرضعة تمتاز بالعقل والرزانة، وإلا تكون بذات عاهة – لان اللبن يعدي كما قيل – حتى ينشأ الطفل سليما من الناحيتين الجسمية والنفسية.

4- يوصي ابن سينا بأن تبدأ عملية تأديب الطفل ورياضة أخلاقه بعد الفطام مباشرة حتى لا يمكن للأخلاق اللئيمة والصفات الذميمة إن تهجم عليه.

5- ينبغي لمؤدب الصبي إن يجنبه مقابح الأفعال ويبعده عن العادات السيئة بالترغيب والتهريب، فلا يؤخذ الولد أولا بالعنف وإنما باللطف ثم تمزج الرغبة والرغبة وتارة يستخدم الحمد والتشجيع ، وتارة أخرى التوبيخ والتأنيب . وإلا يلجأ مؤدب الصبي (معلمة) إلى الضرب إلى عند الضرورة القصوى، وان اضطر لذلك فينبغي لذلك إن يكون أول الضرب قليلا موجعا، حتى يحدث في نفس الطفل الأثر اللازم ويجعله ينظر إلى عقابه بعين الجد.

6- إذا بلغ الطفل ست سنوات من العمر وجب تقديمه للمؤدب والمعلم، وان يراعي في عملية تعليمه استعداداه للتعليم وقدرته على تقبل المعلومات، وإلا يحمل على ملازمة الكتاب كرة واحدة، وان يفسح له المجال للعب بعد الدرس، لما له من أهمية كبيرة في تصريف نشاطه وراحته.

7- ينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيّة من ذوي الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، ذلك إن الصبي يأخذ عن الصبي.

8- إن ما ينبغي تعليمه للطفل أولا هو قراءة القرآن الكريم، وذلك عن طريق التلقين، ثم تصور اله حروف الهجاء، وبعدها يلقي معالم الدين، وأخيرا يحفظ الرجز ثم القصيد – فإذا انتهى الصبي من قراءة القرآن و حفظ أصول اللغة نظر إلى ما يراود إن تكون صناعته.

9- أكد ابن سينا على ضرورة مراعاة ميول الطلبة وقابليتهم واعتبارها الأساس في تعليمهم وتوجيههم لاختيار الأعمال أو المهن التي يرغبون القيام بها حيث قال «ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسيه»، وهذا يستوجب على المعلم إن يختبر نكاء الصبي، ويزن طبعه ومن ثم يختار له الصناعات المناسبة له والتي يستطيع النجاح فيها.

10- يوصي ابن سينا بتزوج الصبي بعد إن يكتسب صناعته لئلا تتلاعب به الشهوات.

11- أما بالنسبة للمعلم فقد اشترط ابن سينا جملة من الصفات التي ينبغي توافرها فيه، إذ أكد على أن يكون للمعلم (مؤدب الصبي) عاقلاً متديناً له دراية ومعرفة برياضة الأخلاق، وقوراً، رزينا، مرناً غير جاف بعيداً عن الخفة والسخف ذا نظافة ونزاهة. وذلك إن للمعلم أهمية كبيرة في توجيه طلبته وإرشادهم، فينبغي إن يكون مثلاً يحتذى به، ومناراً يهتدي به، لأن سلوكه ينعكس على تلامذته – سلباً أو إيجاباً – ذلك أنهم يقلدون الكثير من أفعاله وأعماله، ولهذا فلا بد إن يلم – من أراد هذه المهنة – بالصفات الحميدة والخلق الكريم لكي يكون عائده على غيره خيراً، وناجحاً في أداء رسالته.

#### الغزالي ( 505 – 450 هـ ، 1085 – 1111 م ) :

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، حجة الإسلام، بمدينة طوس قرب خراسان من عائلة فقيرة تعمل في غزل الصوف، درس وتعلم في بلده مبادئ العلوم، ثم سافر إلى نيسابور، وتلقى العلم على يد أمام الحرمين الشريفين (أبي المعالي الجويني) إمام الشافعية.

وقد لمع نجم الغزالي وأصبح من علماء الشافعية، كما اشتهر بما عرف عنه بسمعة الإطلاع والنكاه والقدرة على المناظرة، وتعرف عليه نظام الملك، إذ عهد إليه بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد، وكانت من المعاهد العليا التي يلتحق بالدراسة فيها نخبة من الدارسين في مختلف العلوم والآداب واستمر في التدريس مدة أربع سنوات، رأى بعدها إن يتفرغ للعلم والبحث والمعرفة، فسافر إلى مكة، ثم إلى دمشق فالإسكندرية ثم عاد إلى وطنه وقضى بقية عمره في التدريس الوعظ.

ترك الغزالي ثروة علمية روحية دينية تتجاوز السبعين كتاباً في الفقه والمناظرة، والدفاع عن الإسلام والرد على الفلاسفة، ويعد كتابه (إحياء علوم الدين) مرجعاً لكل باحث في التراث والثقافة على مر العصور.

#### آراءه في التربية:

يرى الغزالي إن التعليم اشرف المهن والصنائع، كما أنه من أتبل الرسائل التي يقوم بها الإنسان، مستشهداً على ذلك بقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت معلماً)، ومن مؤلفاته (رسالة أيها الولد، المنقذ من الضلال وتهافت الفلاسفة، ميزان العمل، مفتاح العلوم الرسالة الوعظية، وإحياء علوم الدين).

وقد تضمن كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) معظم آراءه في التربية والتعليم والتي يمكن إيجازها بالجوانب الرئيسية الآتية:

### 1 - الغرض من التربية:

يرى الغزالي إن الغرض الأسمى للتربية هو التقرب إلى الله بالعلم والمعرفة، فيكون طلب العلم لغاية العلم، باعتباره وسيلة للمعرفة التي تهدف إلى تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ولا يتمكن الإنسان من التوصل إلى هذه السعادة إلا بالعلم والعمل، فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، وهو أفضل الأعمال، فالتربية الإسلامية، كما يرى الغزالي، تجمع بين الدين والدنيا، فهي إخراج الأخلاق السيئة من النفوس والسلوك، وغرس الأخلاق الحسنة في النفوس والسلوك.

### 2 - تصنيف العلوم:

يصنف العلوم من حيث أهميتها وارتباطها بغرض التربية والتعليم إلى صنفين: فروض العين وهي العلوم المفروضة معرفتها على كل مسلم ومسلمة مثل علوم العبادات، وفروض الكفاية هي العلوم التي يحتاج إليها المجتمع لتسيير أمور حياته في الدنيا مثل الطب والحساب والصناعات، ويؤكد الغزالي على أهمية الفائدة المباشرة لكل علم، سواء في الأمور الدنيوية أو الآخرة، وأثرها في تطهير النفس والسمو بها عن الرذائل، وتقريب الإنسان من ربه.

### 3 - طبيعة التعلم:

يبني الغزالي آراءه التربوية على نظرته إلى النفس الإنسانية وغرائز الإنسان وطبيعته، فالطفل، في رأيه، أمانه عند والديه، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة خالية من كل نقش، وهو قابل لكل ما ينقش عليه، كالصفحة البيضاء، وهو تبعاً لهذا، يتقبل الخير والشر على حد سواء، وعملية التعلم هي التي توجه غرائز الطفل إذ لا يجوز معالجة الغرائز بالقهر، فالرياضة والمجاهدة والتعلم هي أنجح الأساليب لذلك.

### 4 - الفروق الفردية:

يرى الغزالي أنه ينبغي مراعاة استعدادات المتعلمين وقدراتهم العقلية والجسمية، فلا يجوز إن يلقي المسلم إلى المتعلم من العلم ما لا يحتمله عقله لئلا ينفره من العلم، بل يقتصر في ذلك على قدر فهم المتعلم، ويرى بأن يكون المعلم على خبره تامة بأدوار النمو العقلي للطفل حتى يتمشى مع درجات الاستعداد العقلي لكل طفل أو متعلم.

### 5 - الثواب والعقاب:

يدرك الغزالي أهمية الزجر غير المباشر للمتعلم، لأن التصريح بالعقاب أو التعريض بالمتعلم يميل بنفسه نحو الإصرار على الخطأ، ويورث لديه الجرأة غير المؤدية. وينصح الغزالي بمدح المتعلم وتكريمه على ما يقوم به من أفعال حسنة، بل ويشجع ذلك أمام الآخرين، بينما يرى إن من المستحسن إن يتغافل المربي عن زجر المتعلم عن فعل مذموم أمام الآخرين، ويعالج ذلك في موقف آخر معه.

## 6 - التربية الرياضية:

اولى الغزالي التربية الرياضية اهتماما خاصا، لما لها من أثر في تقوية الجسم، وفي تنشيط ذهن المتعلم وحيويته، فان المشي والحركة والرياضة للطفل تجنبه الكسل، والإرهاق في التعلم، كما يهتم الغزالي باللعب الجميل وغير المرهق للطفل وتوجيه اللعب نحو اكتساب الأخلاق الحميدة، والمعاملة الحسنة للآخرين.

## 7 - التربية الخلقية:

يعد الغزالي التربية الخلقية الهادفة للطفل على درجة كبيرة من الأهمية، فهي التي تكسبه الصفات الجميلة، وتغرس في نفسه صفات الشجاعة والصبر والتواضع، واحترام الكبير والرفقة بالصغير، وحسن الاستماع، وطاعة الوالدين والمعلمين إلى غير ذلك من الأنماط السلوكية الحميدة.

## 8 - المواد الدراسية:

يرى الغزالي إن يتعلم المتعلم من العلم والمعرفة ما يحقق أغراض العلم والمعرفة، فيبدأ بتعليم القرآن والأحاديث والسيرة والأشعار، ثم ينتقل إلى تعلم العلوم الأخرى، وقد صنفها إلى علوم محمودة تقوم عليها حياة الناس، وطرق معيشتهم وأساليب تعاملهم، كالطب والهندسة والحساب وبعض الصناعات، وعلوم مباحة تثقف العقل وتثري معلومات الإنسان كالتاريخ والآداب، وعلوم مذمومة تزرع القلق والشك في النفوس وهي ما ينبغي إن يجنبها المعلم تلاميذه مثل السحر والشعوذة وبعض فروع الفلسفة.

## 9 - مسلكيات المعلم:

اهتم الغزالي بتحديد آداب المعلم حتى يكون قادرا على ممارسة التعليم والقيام بدوره التعليمي، وهو ما يمكن إن يوصف بالمسلكيات التي ينبغي أن تتوفر فيه، يمكن إبراز أهمها على النحو الآتي:

1- الحرص على المتعلمين ومعاملتهم معاملة البنين من حيث المحبة والشفقة والتوجيه والنصح.

2- مهارة المعلم في تحديد ما يمكن للمتعلم إن يتعلمه حسب قدرته واستيعابه العقلي.

3- مهارة التدرج في تقديم المعارف والعلوم للمتعلم، وعدم التعريض بعلم لا يعلمه لان ذلك ينفر المتعلم من الإقبال على التعلم من غيره من المعلمين.

4- الاقتداء بالمعلم الأول محمد ﷺ في السيرة والسلوك والتعامل مع المتعلمين، فان القدوة الحسنة هي خير معلم للمرء.

5- القدرة على توضيح العلوم والمعارف للمتعلم، فان المعرفة المحدودة قد تسيء بالمتعلم.

## 10 - الانضباط السلوكي للمتعلم:

يمكن تلخيص آراء الغزالي في تحديد سلوك المتعلم ليكون مهياً للتعلم وتقبل آراء المعلم وتوجيهاته على النحو الآتي:

1- الالتزام بالخلق القويم، إذ إن الخلق السيئ يبعد المتعلم عن العلم الحقيقي النافع.

- 2- التواضع مع المعلم، والاستماع إلى نصائحه وتوجيهاته وإرشاده.
- 3- الإقبال على طريقة المعلم في اكتساب المعرفة وفهم العلوم.
- 4- إتقان الفن الواحد أو المهارة الواحدة في كل علم قبل الانتقال إلى المهارة الأخرى بتوجيه المعلم.
- 5- الإقبال على العلوم المحمودة النافعة والاهتمام بالأهم منها بتوجيه المعلم.

## 11 - أهمية تربية الأطفال عند الغزالي :

أول اهتمام الغزالي اهتمام بتربية الطفل، وقد تضمن ما تركه من تراث في هذا الشأن من القواعد والنظريات ما يجعله موضع اهتمام من قبل المربين على مر العصور، ويمكن تلخيص آراءه في هذا المجال على النحو الآتي:

- 1- التربية الأخلاقية منذ الصغر، إذ ينبغي أن تكون مرضعته وحاضنته ومربيته ذات خلق ودين.
- 2- استخدام الحكمة في الثواب والعقاب، إذ إن إكثار القول عليه بالعقاب يهون عليه سماع الملامة، كما إن الإفراط في ثوابه يؤدي به إلى عدم تحمل المسؤولية.
- 3- الجراة الأدبية، إذ ينبغي عدم تعويد الطفل على عمل الأمور خفية أو دون استئذان، بل يراعى ميوله ورغباته في التعامل أو السماح له بذلك.
- 4- حسن التعامل مع الأقران، إذ يكتسب الإقران السلوك من خلال تعاملهم بعضهم مع بعض، وهذا يتطلب توجيه الطفل نحو التعامل الحسن مع رفاقه.
- 5- الاستعانة بالوالدين في تأديب الطفل وتوجيهه.
- 6- اعتياد الأعمال اليدوية والتقشف في المأكل والحياة لنلا ينشأ على ضعف أو نعومة تحول دون قيامه بواجباته.
- 7- مراعاة الميول والقدرات عند معاملة الأطفال أو معالجة أمورهم التعليمية، إذ إن لكل طفل مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي تختلف عن غيره.

## المفهوم الحديث للتربية:

التربية هي عملية التكيف أو التفاعل وبيئته التي تعيش فيها. وينقسم إلى قسمين هما:

### أولا / التربية المتكاملة.

### ثانيا / التربية المتوازنة.

أولا / مفهوم التربية المتكاملة: وتعني التربية التي تعمل على تنمية شخصية الفرد بشكل متكامل ومن كافة الجوانب والأبعاد، والمفهوم الحديث للتربية يأخذ في اعتباره النظرة المتكاملة لشخصية الإنسان من خلال الاهتمام بأبعاد شخصيته في تكامل وتوازن، فالإنسان عقل وجسد وعاطفة، له قيم ويتذوق الجمال ويعيش في مجتمع له طموحات ومصالح وهذا المجتمع ينمو ويستمر من خلال نمو شخصيات أفراد، وللتأكيد على اهتمام التربية الحديثة بنمو الشخصية المتكاملة للفرد نورد أبعاد تلك الشخصية بشيء من الاختصار: -

1 - البعد الجسمي ٢ - البعد العقلي 3 - البعد الانفعالي 4 - البعد الأخلاقي 5 - البعد الاجتماعي 6 - البعد الديني ٧ - البعد الجمالي  
أهداف التربية المتكاملة:

#### للتربية المتكاملة مجموعة أهداف منها الاتي:

- 1 - تحقيق التكامل بين الفرد والمجتمع، فلا تغالي في تربية الفرد على حساب المجتمع، أو العكس.
- ٢ - تحقيق التكامل بين أبعاد شخصية الفرد فلا تهتم في جانب على حساب الجانب الآخر.
- ٣ - توفير مناخ مدرسي يركز على أساس ديمقراطي يشجع الفرد المتعلم على تفجير طاقاته، ويفسح المجال له للتعاون مع أقرانه.

**ثانيا/ التربية المتوازنة :** ويقصد بها التربية التي تشمل جميع جوانب الشخصية وتهدف إلى تحقيق التوازن الدقيق بين هذه الجوانب المختلفة، بحيث لا يطغى جانب على الجانب الآخر، وتعني أيضاً التربية التي تحول دون طغيان الناحية الفردية على المجتمع وبالعكس، فهي تعد الفرد عضواً في المجتمع وجزء لا يتجزأ منه يقوم بتطوير ثقافته، كما تعني أيضاً الاستمرارية وهذا يعني امتدادها لجميع مراحل الإنسان ، وأخيراً تعني الاهتمام بالنواحي النظرية وترجمتها إلى سلوك واقعي فهي لا تهتم بالناحية النظرية وتترك الجانب العملي وبالعكس.

#### - الفرق بين الهدف التربوي والهدف التعليمي:

الأهداف التربوية أعم واشمل من الأهداف التعليمية، فالأولى تنصب على أوضاع التربية، بينما تنصب الأهداف التعليمية على ما يدور في العملية التعليمية وما ينبغي تحقيقه بالنسبة للتعليم المدرسي أو النظامي أو ما يتم في داخل المدرسة أو المعهد أو المؤسسات التي تتولى عملية التعليم.

#### - صلة التربية بالعلوم الإنسانية:

- التربية تستفيد من النظريات المختلفة التي جاءت بها العلوم الإنسانية والفلسفية والاجتماعية التي تفسر مختلف الظواهر النفسية والاجتماعية والعلاقات السلوكية الإنسانية المتعددة، ومن المعارف الإنسانية التي لها علاقة مباشرة مع التربية نخص بالذكر الاتي:-
- التربية والفلسفة: إن فلسفة التربية ما هي إلا تطبيق للفلسفة في مجال العمل التربوي وكانت التربية احد العلوم الداخلة تحت جناح الفلسفة.
  - التربية وعلم النفس: لقد أدى تطبيق الطرق العلمية لعلم النفس على التربية إلى تكوين الطرق التربوية ذاتها.
  - التربية وعلم الإنسان: التربية ما هي إلا العملية التي تؤمن للفرد القدرة والتلاؤم بين دوافعه الداخلية وظروفه الخارجية النابعة من بيئة ثقافية واجتماعية معينة.

- التربية وعلم الاجتماع: إن جميع الأسس الاجتماعية هي أسس مهمة في العملية التربوية ذلك أن التربية لا توجد في فراغ، وإنما في مجتمع له أسسه وعلاقاته الاقتصادية والثقافية والسياسية والتربوية.
- التربية وعلم الأحياء: إن التربية تبحث في معرفة قوانين الحياة العامة والنمو والتكيف وهي وثيقة الاتصال مع ما يدرسه علم الأحياء.
- صلة التربية بالتاريخ: إن وجود البعد التاريخي يساعد العملية التربوية على فهم ما ورثته من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للانطلاق إلى المستقبل، وأيضاً يساعدها على فهم المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات التي مرت على البشرية في مراحل تطورها.

### العوامل المؤثرة في تربية الفرد :

- 1- مجموعة الظروف والمناسبات التي يمر بها الفرد.
- 2- المؤثرات المنظمة من تربية المدرسة وعمل المعلم وما يحيط بها من أنشطة.
- 3- البيئة الطبيعية التي تحيط بالفرد.
- 4- مجموعة الظروف المحيطة بالطفل في أسرته.
- 5- قابليات واستعدادات الطفل التي ورثها عن والديه.
- 6- الدوافع التي يحملها أفراد النوع الإنساني عامة وتدفعهم للأنشطة المختلفة والحركة والبحث عن الغذاء وعن المعرفة.

### التحديات التي تواجه التربية

- 1- الزيادة الكبيرة والأعداد الهائلة من التلاميذ الملحقين بالمؤسسات التعليمية ومن هم في سن التعليم.
- 2- الانفجار المعرفي والثورة الرقمية التي تزداد يوماً بعد يوم.
- 3- كثرة التخصصات وتنشعب فروع المعارف والمعلومات.
- 4- التمويل.
- 5- الديمقراطية وتطور النظرة الحديثة إلى التربية والتعليم.